



مقدمة

**

قد يولد الواحد منا غنيا بالوراثة، لا يحتاج إلى جد في طلب الرزق، بل كل شيء عنده متاح ومتوفر فلا يشعر بتلك النعمة بل يسرف في ماله ولا يهتم، وقد يولد فقيرا ويسعى ويجتهد ليوسع الله عليه في الرزق حتى إذا ذاق نعمة الغنى انفق في سبيل الله وظل مجهدا كي لا يرجع إلى الفقر مرة أخرى، وبالمثل هناك من يولد مسلما بالوراثة فلا يشعر بقيمة تلك النعمة ويتجاهل تعاليم ذلك الدين فيلهث وراء الدنيا والشهوات تاركا الدين وراء ظهره حتى يضيع منه ولا يبقى من إسلامه إلا خانة في بطاقته الشخصية، وهناك من يولد على غير الإسلام وحينما يكتشف أنه دين الحق، يجاهد الدنيا كلها ليظل متمسكا بهذا الدين، حتى لو ذاق الموت لا يتركه أبدا، إنه دريد..

..

لا أعرف كيف أصف فعلتي التي فعلتها؟ هل هو إلهام من الله؟
أم هو حسن ظن مني في الله؟ أم كلاهما معا؟ لكنني في النهاية
أخذت القرار وفاتحت صديقي في موضوعي وما كانه منه إلا أن
قال:

- هل جننت يا دريد؟!!

نظرت إليه بجدية وقلت بكل ثقة:

- وما الجنون في الأمر؟

- أنت مسلم وتريد أن تتزوج أختي المسيحية؟

- ما المشكلة؟

- كيف ستتزوجها وأنت على غير ديننا؟!!

- والله لن أغضبها على الدخول في الإسلام، بل سأخذ بيدها إن

أرادت الذهاب إلى الكنيسة.

تعجب صديقي جدا، وبدى عليه الانزعاج، لكنني تجاهلت كلماته،

وقلت بإصرار:

- أنا أريد رأي أختك ، إن رفضت فالأمر منتهٍ بالنسبة لي ، فقط اسألها.

بدا على صديقي التعجب والاندهاش والرفض والقلق ، مشاعر مضطربة تركني ورافقته ، وأنا بداخلي مشاعر غريبة لكنها مريحة جدا!

تبدأ القصة منذ عام ١٩٩٢ وأنا طالب جامعي في الفرقة الرابعة ، شاب مسيحي حديث عهد بالإسلام ، آل المآل بي أن أهاجر بيت أهلي وقريتهم ، فكنت أبيت في المدينة الجامعية أحيانا ، ثم بحثت عن سكن مستقل بعدما تعرضت لمضايقات كثيرة بسبب إسلامي ، فلم أجد مسكنا يناسب وضعي المالي سوى تلك الشقة المحترقة في منزل ما ، الجدران ملفحة بالسواد الناتج عن الحريق ، لا يوجد بها كهرباء ، لا يوجد سوى أدنى مقومات الحياة وأقل ! فنظفت تلك الشقة ، وأدخلت فيها الكهرباء على نفقتي الخاصة لأن صاحب الشقة رفض أن يتحمل هو تكاليف تلك التصليلات ، ولا حتى قبل أن

يخضم من الإيجار شيئاً! فلم يكن لدي قوة ولا علم لأجاده في الأمر ودفعت له الإجار السنوي مقدماً.

عرف سكان العمارة أنني كنت نصرانيا وأسلمت، وكان الطابق الذي أسكن به يتكون من شقتين، إحداهما استأجرتها والأخرى يسكن فيها أسرة مسيحية متدينة، تتكون من أب وأبنائه الخمسة، التقيت بهذا الأب بعض مرة ، وذات مرة رأني الأب هابطا الدرج، نظر إلي مستفهما وقال مستكرا:

_ هل حقا كنت مسيحيا وأسلمت؟

_ أجل

_ ولماذا فرطت في المسيح؟

قالها بنبرة توبيخ، فقلت له:

_ لم أفرط فيه بل هو مازال في قلبي، أنا لم أفرط في المسيح بل ربحت محمدا ولم أخسر المسيح.

زفر بخفة استخفافا بعبارتي وقال:

_ ولماذا فعلت ذلك؟

_ القصة طويلة هل لديك متسع من الوقت لأسردها عليك؟

_ الآن لا، لكن يمكن أن أجلس معك على سطح البيت بعد عودتي من الدوام بين العصر والمغرب.

_ حسنا، نلتقي في الموعد إذا.

وبالفعل عاد من عمله وناداني وصعدنا معا إلى سطح البيت حيث كان الناس يفرون من حر المنازل إلى الأسطح في هذا الوقت جلسنا معا وبدأت أحكي قصة إسلامي..

".. في السنة الجامعية الثانية (كلية التربية/ قسم بيولوجي)، كانت المحاضرة عن تكوين الجنين في رحم أمه، فقال المحاضر:

- كنت أظن سابقا أن الجنين يتكون أولا من مراحل رخوة ثم صلبة، ولكن بعد اكتشاف المجهر الإلكتروني ثبت العكس.

فقام طالب من آخر الصف وقام بصوت عال:

- نحن نعلم هذا الكلام من قبل ١٤٠٠ سنة!

نظر إليه المحاضر متعجبا وساخرا وقال: كيف؟!

فأخرج عمر كتابا صغيرا من جيبه وقال:

- أخبرنا الله بهذا في كتابه العزيز.. ثم تلا: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (المؤمنون ١٢ - ١٤).

لقد تعجب الجميع مما قال، حتى المسلمون تعجبوا، فلم يكونوا على علم بما في كتابهم!!

بعد المحاضرة التففنا حوله فسألته مستنكرا:

- ما هذا الذي تقرأ فيه، وتضحك به على الناس؟!

فأجاب بصدر رحب:

- إنه القرآن

سألته ساخرا:

- كيف والمحاضر قال لتوه أن تلك المعلومة لم تكتشف إلا بعد اكتشاف المجهر وأنت تقول إنه في القرآن الذي يزيد عمره عن

١٤٠٠ سنة؟!

رد بهدوء وثبات:

- تلك هي الحقيقة.

ثم تلا الآيات مجددا فسرت الشعريرة في جسدي لكنني لم أبد له ذلك وقلت مكابرا:

- وما يدرني أنك لم تؤلف هذا الكتاب الذي معك؟

رد بنفس الثبات:

- حسنا، تعال معي إلى المكتبة وابحث بنفسك في كل كتب القرآن بمختلف المطابع التي طبعته لتجد تلك الآية في نفس السورة بنفس الرقم.

قبلت بدافع الفضول والمكابرة علني أخذل هذا الـ (عمر) وأكتشف خدعته، وبالفعل ذهبت معه إلى أكثر من مكتبة وبدأت أقارن بين كتاب عمر وباقي الكتب أو بمعنى أدق المصحف الذي يمتلكه عمر

وباقى المصاحف، وكانت صدمتي كبيرة، فالآيات نفسها فى كل الطبعات، حتى صرت أبحث عن موطن آيات أخرى وإذ بي أجدّها متطابقة أيضا!

فأنا كنصراني لو قارنت بين طبعة الكتاب المقدس وأخرى سأجد اختلافًا فى بعض الكلمات، وأحيانا فى عدد الأسفار وفق كل طائفة، أما هذا القرآن كيف أن يبدو بهذا التطابق التام.

انتشلىنى عمر من أفكارى قائلاً:

- ها ما رأيك الآن؟

أجبتّه بجرأة:

- بصراحة كوني مسيحيا والإنجيل جاء قبل القرآن بنحو ٧٥٠

عاما، فأنا أرى أن القرآن محرف وقد اقتبس هذه الآية منه.

ابتسم عمر برفق لا تشوبه سخرية وقال:

- أتمنى أن تأتيني بمثل هذا النص أو ما شابه من الإنجيل.

قلت معاندا:

- بالطبع سأفعل.

في هذا اليوم عدت إلى المنزل وعكفت أقرأ الإنجيل من الغلاف إلى الغلاف، فعلت ذلك أربع مرات ولم أجد ذكرا لرحم، أو نطفة، أو جنين!

وبعدما باء بحثي بالفشل ذهبت إلى قس في منطقتي وقلت له:

- عندي بحث عن تكوين الجنين في الكلية وأردت الاستشهاد ببعض العبارات من الكتب الدينية المسيحية، فهل يوجد فيها شيء من هذا القبيل؟

كانت إجابة القس صادمة جدا لي رغم أنني كنت أتوقعها خاصة بعد قراءتي للإنجيل، طبعا كانت إجابته بالنفي!

في فترة بحثي كنت أتحاشى الاحتكاك بعمر كي لا يسألني عن نتيجة بحثي، وبعد أقل من شهر جاءني عمر وسألني:

- ماذا فعلت يا دريد؟

أجبتة بضيق:

- أنتم تقولون في القرآن لكم دينكم ولي دين، أليس كذلك؟

- بلى

- إذا لنظل أصدقاء وزملاء دون أن نتطرق لتلك الأمور مرة أخرى.

فرد عمر ردا هزني وحرك شيئا ما داخلي، قال:

- أنا ولدت من أبوين مسلمين، وترعرعت على هذا الأساس،
وسألتك يا دريد عني أكتشف أن المسيحية هي دين الخلاص
من النار والموصلة إلى مرضاة الله.

لقد تعمد عمر قول ذلك لأعكس أنا تلك النظرية على نفسي، وقد
نجح في ذلك، لكنني أخذتني العزة بالإثم وقلت له بغضب:

- يا عمر إن لم تكف عن هذا سأقدم فيك شكوى إلى أمن الجامعة
فسكت عمر، وقطعت العلاقة معه!

**

كنت ما زلت أتحدث مع جاري وإذ بأبنائه الخمسة قد صعدوا إلى
السطح، بما فيهم ابنته، لم انشغل بهم واستكملت سرد قصتي..

"مرت الأيام وعلاقتي بعمر مازالت راكدة حتى حدثت حرب في المنطقة وأخذ أبي إلى الجيش عنوة، كان أبي الشماس موظفا يتقاضى راتبا يقدر ب ٢٠٠ دولار، وعندما أخذه إلى الجيش أخذ معه ١٠٠ دولار وترك لنا ١٠٠ دولار أخرى، ذهب أبي وتركني أنا وأمي وخمسة أخوة، فألقيت على عاتقي مسؤولية كبيرة، وحملت هم هذه الأسرة فخرجت أبحث عن عمل هنا وهناك كي أعيل عائلتي.

في تلك الفترة مرضت جدتي وكنا نعيش أياما صعبة، والحياة شحيحة جدا! بعد أيام معدودات توفت جدتي ، ولم أعرف كيف أتصرف لكن الله دبر لي الأمر. بعد وفاة جدتي جاء أعرابي إلى قريتي يسأل عن بيت دريد، إنه عمر!

جاء عمر من أبعد نقطة في محافظتي، ولا توجد سيارات، وتحفه مخاطر القصف، ورغم كل ذلك جاء عمر ليبحث عني!!

فرحت جدا حينما رأيته وتعجبت أيضا من فعلته، وحينما سألته عن سبب مجيئه كان جوابه مفاجأة بالنسبة لي حيث قال:

- منذ أكثر من يومين أجد في منامي كأن هاتفا يقول لي اذهب إلى دريد، فلم أتحمل هذا وجئت لأطمئن عليك.

هزني جوابه ولم أعرف كيف أشكره، ولم يكن بوسعي إلا أن أخذته معي إلى البيت وتناولنا الغداء معا، وبعد الغداء سألني عن اتجاه القبلة، قلت له لا أعرف! فطلب مني أن نصعد إلى سطح البيت ليحدد اتجاهها، وحينما حدده طلب مني فرشاً نظيفاً ليصلي عليه.

صلى عمر وهم بالمغادرة، حاولت منعه فكيف يرجع في هذا الوقت، والطريق طويلة؟ لكنه أصر فرافقته إلى موقف السيارات. حينما وصلنا أدخل عمر يده في جيبه وأخرج محفظته وإذ بها عشرون ديناراً عراقياً وقال:

- سأخذ نصفها وستأخذ أنت النصف الآخر.

امتنعت في أول الأمر لكنه أصر فقبلت على أن تكون تلك النقود دينا علي لقد فعل ما لم يفعله أهلي معي!

غادر عمر، ولم أره إلا بعد ثلاثة أشهر حينما عادت الدراسة .

مرت أيام وأصبحت علاقتي بعمر أفضل مما كانت، حتى توطدت صداقتنا، فأبى عمر إلا أن يفاتحني في أمر الأجنة مجدداً، فرددت عليه بكل أدب هذه المرة وقلت:

- يا عمر دعنا لا نتكلم في هذا مجدداً، لك دينك ولي ديني.

فاحترم عمر كلامي وسكت..

بعد عدة أيام أراد الله أن يحرك دواخلي مرة أخرى في إحدى المحاضرات حيث كان المحاضر يتحدث عن مراكز الإحساس بالألم في جسم الإنسان ألا وهي الجلود، كانت محاضرة ممتعة جداً حتى طلب في نهايتها من عمر أن يستشهد بآية من القرآن ذكرت هذه المعلومة العلمية المكتشفة حديثاً أيضاً! فتلى عمر " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا " (النساء 56)

هزتني الآية مجدداً وسألت نفسي: هل مرة أخرى!!

عدت إلى البيت وانكبت مجددا أقرأ التوراة والإنجيل معا أبحث
عن هذه المعلومة فيهما فلم أجد أبدا! شعرت بوخزات في صدري
وقلت:

- يا إلهي لماذا هذه الأمور موجودة في القرآن وليست موجودة
في الإنجيل، وقد علمونا منذ صغرنا أن القرآن مأخوذ من
الإنجيل، فلما لا أجد تلك الأمور العلمية في الإنجيل!!؟
دارت في رأسي العديد من التساؤلات ، لماذا يحدث معي أنا
بالذات كل هذا!!؟

في اليوم التالي ذهبت إلى عمر وسألته:

- هل يوجد في القرآن معلومات أخرى غير هاتين المعلومتين؟
أجابني بكل هدوء وثبات:

- نعم يوجد الكثير والكثير، وفي السنة الشريفة أيضا أخبرنا النبي
صلى الله عليه وسلم أمورا كثيرة
- هل انت جاد!!؟

- نعم، وإن أحببت ذكرت لك بعضا منها

- نعم أحب أن أسمع يا عمر

- يقول تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: 1 . 7]. لقد ثبت علمياً بقياسات عديدة أن أكثر اليابسة انخفاضاً هو غور البحر الميت ويقع البحر الميت في أكثر أجزاء الغور انخفاضاً، حيث يصل مستوى منسوب سطح الماء فيه إلى حوالي أربعمئة متر تحت مستوى سطح البحر، ويصل منسوب قاعه في أعماق أجزائه إلى قرابة ثمانمئة متر تحت مستوى سطح البحر، وهو بحيرة داخلية بمعنى أن قاعها يعتبر في الحقيقة جزءاً من اليابسة.

إن منطقة أغوار وادي عربة / البحر الميت / الأردن، تحوي الجزء الأكثر انخفاضاً من أجزاء اليابسة على الإطلاق، والمنطقة كانت محتلة من قبل الروم البيزنطيين في عصر البعثة النبوية الخاتمة، وكانت هذه الإمبراطورية الرومانية يقابلها ويحدها من الشرق الإمبراطورية الفارسية الساسانية، وكان الصراع بين هاتين

الإمبراطوريتين الكبيرتين في هذا الزمن على أشده ولا بد أن كثيراً من معاركهما الحاسمة قد وقعت في أرض الأغوار وهي أخفض أجزاء اليابسة على الإطلاق، ووصف القرآن الكريم لأرض تلك المعركة الفاصلة التي تغلب فيها الفرس على الروم . في أول الأمر بـ "أدنى الأرض" هو وصف معجز للغاية، لأن أحداً من الناس لم يكن يدرك تلك الحقيقة في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده.

ووردوها بهذا الوضوح في مطلع سورة "الروم" يضيف بعد آخر إلى الإعجاز الإنبائي في الآيات الخمسة التي استهلّت بها هذه السورة المباركة ألا وهو الإعجاز العلمي فبالإضافة إلى ما جاء بتلك الآيات من إعجاز شمل الإخبار بالغيب، وحدد لوقوعه بضع سنين، فوقع كما وصفته وكما حددت له زمنه تلك الآيات فكانت من دلائل النبوة، فإن وصف أرض المعركة بالتعبير القرآني "أدنى الأرض" يضيف إعجازاً علمياً جديداً، يؤكد أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن النبي الخاتم الذي تلقاه كان موصولاً بالوحي.

قلت:

- أريد أن أسمع أكثر.

فقال:

- ❁ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ

وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا (الفرقان 53)

قلت:

- وما معنى ذلك؟

قال:

- إن العلماء الدارسين لمناطق اللقاء بين الأنهار والبحار (مناطق

المصببات) اكتشفوا أن ماء النهر والبحر في منطقة اللقاء بينهما

في حالة ذهاب وإياب واختلاط واضطراب، ويفصل بينهما ماء

المصب الذي يعتبر حجراً على الكائنات الحية التي فيه محجوراً

على الكائنات الخاصة بالبحار والأنهار، وأن ماء المصب

محاط ببرزخ مائي يفصل بين البحر والنهر.

وذلك ما قرره القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة عام على لسان نبي أمي عاش في أرض صحراوية ليس فيها نهر ولا مصب، قال تعالى: ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينها برزخاً وحجراً محجوراً﴾. فهل تيسر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في زمنه من أبحاث وآلات ودراسات ما تيسر للعلماء الذين اكتشفوا تلك الأسرار بالبحث والدراسة؟؟

والواقع أن الذي تيسر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر من ذلك فقد جاءه النبأ من العليم الخبير الذي أنزل عليه: ﴿قل أنزلني الذي يعلم السر في السماوات والأرض﴾ [سورة الفرقان، الآية: 6]. ولقد دل الوصف التاريخي في أول البحث عن تطور علوم البحار على عدم وجود أية معلومات علمية في هذا الموضوع قبل أربعة عشر قرناً من الزمان عند نزول القرآن الكريم على رسول الله. كما أن علوم البحار لم تتقدم إلا في القرنين الأخيرين وخاصة في النصف الأخير من القرن العشرين. وقبل ذلك كان البحر مجهولاً مخيفاً تكثر عنه الأساطير والخرافات، وكل ما يهتم به ركبوه هو السلامة، والاهتداء إلى الطريق الصحيح أثناء رحلاتهم الطويلة،

وما عرف الإنسان أن البحار المالحة بحار مختلفة إلا في الأربعينات من هذا القرن، بعد أن أقام الدارسون آلاف المحطات البحرية لتحليل عينات من مياه البحار، وقاسوا في كل منها الفروق في درجات الحرارة، ونسبة الملوحة، ومقدار الكثافة، ومقدار ذوبان الأوكسجين في مياه البحار في كل المحطات فأدركوا بعدئذ أن البحار متنوعة. وما عرف الإنسان البرزخ الذي يفصل بين البحار المالحة، إلا بعد أن أقام محطات الدراسة البحرية المشار إليها، وبعد أن قضى وقتاً طويلاً في تتبع وجود هذه البرازخ المتعرجة المتحركة التي تتغير في موقعها الجغرافي بتغير فصول العام. وما عرف الإنسان أن ماءي البحرين منفصلان عن بعضهما بالحاجز المائي، ومختلطان في نفس الوقت إلا بعد أن عكف يدرس بأجهزته وسفنه حركة المياه في مناطق الالتقاء بين البحار، وقام بتحليل تلك الكتل المائية في تلك المناطق. فهل كان يملك رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المحطات البحرية، وأجهزة تحليل كتل المياه، والقدرة على تتبع حركة الكتل المائية المتنوعة؟ وهل قام بعملية مسح شاملة، وعاش في زمن كانت الأساطير هي الغالبة على تفكير الإنسان

وخاصة في ميدان البحار؟؟ وصدق الله القائل: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ [سورة فصلت، الآية: 53].

**

انتهينا من الحديث وتفرقنا في نهاية اليوم الجامعي، وحينما عدت إلى البيت فتحت الأنجيل مجدداً أبحث فيها عن ذكر هذا البرزخ المائي، أو تحديد منطقة أدنى الأرض، لكن كالعادة لم أجد لهما أثراً في كتابي المقدس هذا!

فتذكرت ما كانوا يخبروننا به عن نبي الإسلام ونحن صغاراً، فعزمت أن أعرض تلك المعلومات على عمر فأنظر بماذا يجيب؟

في اليوم التالي سألته عن عدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ففاجأني بأنه كان ينتظر مني هذا السؤال، وبدأ يفند لي هذه الشبهة:

- الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن زواجه رغبة في كثرة النساء كما قيل عنه، ولا لأنه شهوانياً، فإن التعدد بدأ في سن الثالثة والخمسين من عمره، فهل هذا دليل الشهوة؟ ومن يشتهي

هل يتزوج الثيبات وأمّهات الأولاد والأرامل؟ كيف وقد عرض عليه خيرة بنات قريش فأبى؟!

وإنما كان زواجه صلى الله عليه وسلم يرجع إلى أسباب اجتماعية وتشريعية وسياسية:

أولاً: الأسباب الاجتماعية:

زواجه من السيدة خديجة رضى الله عنها، وهذا نضج اجتماعي، بحيث يتزوج الرجل المرأة العاقلة الرشيدة، وكان عليه الصلاة والسلام في سن الخامسة والعشرين وظلت معه حتى توفيت وهو في سن الخمسين، ولم يتزوج عليها طيل حياتها!

وتزوج بعدها بالسيدة سودة بنت زمعة وكانت أرملة؛ لحاجة بناته الأربع إلى أم بديلة ترعاهن وتبصرهن بما تبصر به كل أم بناتها. حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها بعد وفاة زوجها إكراما لأبيها سد3هـ.

السيدة زينب بنت خزيمة استشهد زوجها في غزوة أحد فتزوجها سد4هـ.

السيدة أم سلمة هند بنت أمية توفى زوجها ولها أولاد فتزوجها

س4هـ

ففي هذه الزيجات يتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج بأرامل الشهداء الذين قتلوا في جهاد المسلمين للمشركين لتطيب نفوسهن، ورعاية لأولادهن، فكان هذا تعويضًا من الله عز وجل لهن.

- ثانيًا: الأسباب التشريعية:

زواجه من السيدة عائشة رضى الله عنها كان بوحي، حيث رأى في المنام أنه تزوجها، ورؤيا الأنبياء وحى.

زينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة الذى كان يدعى زيد بن محمد بالتبني، فنزل قول الله تعالى: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ [الأحزاب: 4] ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ [الأحزاب: 5] وبعد خلاف مع زوجها طلقت منه، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها لإقامة الدليل العملي على بطلان التبني، وذلك سنة خمسة للهجرة.

- ثالثًا: الأسباب السياسية:

كان لبعض زيجات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد سيأسى من حيث ائتلاف القلوب والحد من العداوة وإطلاق الأسرى... إلخ، ومن ذلك:

زواجه بالسيدة جويرة بنت الحارث، سيد بنى المصطلق، من خزاعة، وقعت في الأسر، تزوجها سنة 6هـ.

والسيدة أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان، تنصر زوجها وبقيت هي على إسلامها، وكان للزواج منها كبير الأثر في كسر حدة أبى سفيان في العداء للإسلام، حتى هداه الله.

والسيدة صفية بنت حيي بن أخطب كانت من سبى خيبر أعتقها الرسول وتزوجها 7هـ.

والسيدة ميمونة بنت الحارث تزوجها 7هـ.

مات من هؤلاء اثنتان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهما: خديجة، وزينب بنت خزيمة، وتوفى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تسع.

وأما الجواري فهما مارية القبطية التي ولدت إبراهيم وتوفى صغيراً، وريحانة بنت زيد القرظية.

إن التعدد منه صلى الله عليه وسلم كله كان لحكم منها أيضاً بيان كل ما يقع في بيت النبوة من أحكام عملاً بقوله تعالى: ﴿واذكروا ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾ [الأحزاب: 34] ولتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته لهم، وللزيادة في تألفهم لذلك، ولتكثر عشيرته من جهة نسائه فيزداد أعوانه على من يحاربه. ولنقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال؛ لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفى مثله.

وبعد كل تلك الأسباب نأتي بسبب ليس هينا وهو أن التعدد سنة الأنبياء بنصوص الكتاب المقدس، فنبي الله سليمان عليه السلام، ذكر العهد القديم أنه كانت له ألف امرأة؛ سبعمائة من الحرائر وثلاثمائة من السراري.

أما نبي الله داود عليه السلام، ذكر العهد القديم له تسع نسوة.

انتهى عمر من الرد على سؤالي، وما أجدني إلا قد سررت ببراءة هذا النبي من هذا الكلام الذي تربينا عليه، وتوالت الأسئلة بعد ذلك وكان صديقي يجيبني فوراً أو يطلب مني ان أمهله حتي يبحث عن جواباً لسؤالي.

أثناء طرح أسئلتني على عمر تفاجأت أن الإسلام بنفي حادثة صلب المسيح، تلك الركن الأساسي لعقيدة الفداء التي تقوم عليها المسيحية، سألته:

- إن لم يمت المسيح ليفدينا من الخطيئة التي توارثناها من أبينا آدم مذ أكل من شجرة الحياة فكيف مات؟!!

- لم يمت بل رفعه الله إليه ونجاه من الصلب

- كيف؟!!

- دل على ذلك جاء في الكتاب المقدس، ففي إنجيل لوقا 4: 29-30 أن الله عصم المسيح عليه السلام وحفظه من كيد اليهود ومكرهم فلم يستطيعوا أن يصلبوه قال يوحنا : 8 : 59 (فرفعوا حجارة ليترجموه. أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم

ومضى هكذا). وقال يوحنا 10: 93: (فطلبوا أيضاً أن يمسكوه فخرج من أيديهم)، وفي يوحنا 36: 19 (وقد حدث هذا ليتم ما جاء في الكتاب: لن يكسر منه عظم)!.

هذه العبارة في الإنجيل يُقصد بها المسيح، وهي كافية لإثبات عدم صلبه، فالمصلوب لابد أن تخترق المسامير الحديدية الغليظة يديه وقدميه على الأقل بالطرق العنيف الشديد المتواصل، وبعد ذلك على ثقوب جسده التي أحدثتها هذه المسامير الغليظة المطروقة أن تتحمل كل وزنه وثقله لبضع ساعات على الأقل، فكيف بعد ذلك لا يكسر منه عظم؟!!

والحق الذي لا مرية فيه أن الله رفع إليه المسيح، كما دل عليه القرآن، قال تعالى: وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا {النساء: 157-158}،

وقد دل على ذلك أيضاً الإنجيل الذي بين أيديكم، ففي سفر أعمال الرسل 1: 11: (إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء)، وفي متى 4: 6 ولوقا 4: 10-11: (مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك).

وأما ما هو ذنب اليهود، فذنبهم أنهم كفروا بالمسيح وأرادوا صلبه وقتله، ولو ظفروا لفعلوا به ذلك، ولكن الله نجاه من أيديهم، فإن كان الله ألقى شبهه على غيره -إنساناً أو شيطاناً- خداعاً لليهود -كما هو أحد الوجوه الواردة في تفسير الآية- فإن خداع من يستحق الخداع على وجه الجزاء له مما يمدح، وهذا منه سبحانه في أعلى مراتب الحسن.

وللعلم ليست النصرانية هي العقيدة الوحيدة التي ادعت أن لله ابن جاء للخلاص من أجل البشرية، بل إن عقيدة الفداء والصلب خرافة وثنية اقتبسها بولس من العقائد الوثنية القديمة:

هذا يؤكد أن جذور هذه الديانة المسيحية ترجع إلى الوثنية وهذا ما سأوضحه لك:

إعدام الإله في الديانات الوثنية:

يذكر علاء أبو بكر أن فكرة "إعدام الإله" فكرة انتشرت في الديانات الوثنية القديمة وتناقلتها الأمم، ومن ذلك:

1. ديانة ميثرا الفارسية:

ديانة فارسية ازدهرت في فارس في القرن السادس ق. م، ثم انتقلت إلى روما، وانتشرت في أوروبا فبلغت مدنا شمالية في إنجلترا. ومن أوجه التشابه بين عقائد الديانتين وبين ميثرا ويسوع، أن:

- كلا منهما كان وسيطا بين الله والبشر.
- ميثرا ولد في كهف وولد عيسى في مذود البقر.
- كلا منهما ولد في الخامس والعشرين من ديسمبر.
- كلا منهما كان له اثنا عشر حواريا.
- كلا منهما مات ليخلص البشر من خطاياهم.
- كلا منهما دفن وعاد للحياة بعد دفنه.
- كلا منهما صعد السماء بعد دفنه.

- كلا منهما صعد السماء أمام تلاميذه.
- كلا منهما كان يدعى منقذا ومخلصا، ومن أوصافه أنه كان كالحمل الوديع.
- كلا منهما كان له أتباع يعمدون باسمه، ويقام عشاء مقدس في ذكراه.

هذا وقد جاء في كتاب "حياة المسيح في الكشوف والتاريخ" للعقاد أن: عبادة مثرا هذه انتقلت إلى الدولة الرومانية، وامتزجت بعبادة إيزوريس المصرية، ومنهما جاءت عبادة مثرا، وهي في جملتها هي الديانة المصرية التي صورت إيزيس أم الإله حوريس، وهو يرضع من ثديها. وهي أيضا صورة مريم العذراء التي تحتضن ابنها عيسى - عليه السلام - في أثناء رضاعته، وقبل فطامه.

2. ديانة بعل:

وهي ديانة بابلية انتقلت مع موجة الفتوحات البابلية إلى شمال الهلال الخصيب، وظل الكنعانيون يدينون بها. وفي كثير من الأحيان كان اليهود يتركون ديانتهم ويعبدون بعلًا، ونهاية هذا الإله تكاد تكون

هي الصورة التي صورت بها نهاية المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام:

- أسر قبل محاكمته.
 - حوكم علنا.
 - اعتدي عليه بعد محاكمته.
 - نفذ الحكم عليه في أعلى الجبل.
 - كان معه مذبذب آخر محكوم عليه.
 - ولما أراد الحاكم العفو عنه طالب الشعب بإعدامه هو، والعفو عن المجرم.
 - وبعد تنفيذ الحكم عليه ظهر الظلام، وعم الاضطراب الناس، وعلا الرعد، وزلزلت الأرض.
 - وكل منهما أقيم حرس على قبره.
 - وكل منهما قام من القبر وصعد السماء.
3. ديانة الهندوس:

تتشابه كثير من تفاصيل قصة الصلب مع تفاصيل واردة في قصص وثنية مشابهة. فقد ذكر متى أحداثا غريبة عدة، صاحبت موت المسيح؛ حيث يقول: "ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: «إيلي، إيلي، لما شبقنتي؟» أي: إلهي، إلهي، لماذا تركتني... فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم، وأسلم الروح. وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين، من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين". (متى 27: 45 - 52).

وهذا نقله النصارى من الوثنيات القديمة، فقد نقل العلامة التنير عن عدد من المؤرخين إجماعهم على انتشار هذه الغرائب حال موت المخلصين لهذه الأمم. من ذلك: أن الهنود يقولون: "لما مات "كرشنا" مخلصهم على الصليب، حدثت في الكون مصائب جمة، وعلامات متنوعة، وأحاطت بالقمر دائرة سوداء، وأظلمت الشمس عند منتصف النهار، وأمطرت السماء نارا ورمادا...".

ويقول عباد بروسىوس: "إنه لما صلب على جبل قوقاس، اهتزت الكائنات، وزلزلت الأرض".

والاعتقاد بحدوث أحداث سماوية عظيمة عند موت أحد العظماء أو ولادته معروف عند الرومان واليونان.

كما ينقل المؤرخ كنون فرار في كتابه "حياة المسيح"، وينقل جيبون في تاريخه أن عددا من الشعراء والمؤرخين الوثنيين كان يقول: "لما قتل المخلص اسكولابىوس أظلمت الشمس، واختبأت الطيور في أوكارها؛ لأن شافي أمراضهم وأوجاعهم فارق هذه الدنيا". والقول بظلمة الشمس عند موت أحد المخلصين قيل عند مقتل هيركلوس، وبيوس، وكوتز لكوتتل، وكيبير ينوس إله الرومان. وعليه فهو أسطورة قديمة تداولتها الأمم، ونقلها أصحاب الأناجيل من تلك الوثنيات.

ويقول دوان: وكانوا في مصر يقدمون من البشر ذبيحة، وتمكنت بهم هذه العادة الشريرة حتى صاروا يقدمون الابن البكر من أحد العائلات الأتانية ذبيحة، يأخذونه إلى هيكل في "فستات في

عالوس"، ويضعون على رأسه إكليلا، ثم يذبحونه قربانا للإله كما تذبح الأنعام.

ويقول العلامة M. William: ".. يعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية[4]، ومما يدل على ذلك ما جاء في تضرعاتهم التي يتوسلون بها بعد "الكياتري"، وهي: "إني مذنب، ومرتكب الخطيئة، وطبيعتي شريرة، وحملتني أمي بالإثم، فخلصني يا ذا العين الحندوقية، يا مخلص الخاطئين، يا مزيل الآثام والذنوب".

ويضيف دوان ما نصه: "ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفسه فشنو، الذي لا ابتداء له، ولا انتهاء، قد تحرك شفقة وحنوا؛ كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه".

وقال هوك: "ويعتقد الهنود - الوثنيون - بتجسد أحد الآلهة، وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس والخطيئة".

ويزعمون أن بوذا الطبيب العظيم ومخلص العالم قدم نفسه ذبيحة؛
ليكفر آثام البشر، ويجعلهم ورثة ملكوت السماوات، وبولادته ترك
كافة مجده في العالم ليخلص الناس من الشقاء والعذاب كما نذر.

4. ديانة الفرس:

وكان الفرس يدعون مئرا الوسيط بين الله والناس، والمخلص الذي
بتألمه خلص الناس ففداهم، ويدعونه "الكلمة" و "الفادي"، ويعتقدون
أيضا أن زروستر المتشرع مرسل إلهي، أرسل ليخلص الناس من
الطرق الشريرة، وإلى هذا الحين نرى أتباعه يدعونه زروستر - الحي
المبارك المولود البكر الواحد الأبدي - وما شاكل ذلك من الألقاب،
وأنه لما ولد ظهر نور أضاء الغرفة التي ولد فيها، وأنه ضحك على
أمه من حين ولادته، ويدعونه "النور الشعشاني البارز من شجرة
المعرفة الذي علق على شجرة".

5. ديانة السوريين القدماء:

كان السوريون يقولون: إن تموز - الإله المولود البكر من عذراء -
تألم من أجل الناس، ويدعونه "المخلص" و "الفادي" و "المصلوب"،

وكانوا يحتفلون في يوم مخصوص من السنة بذكرى موته، فيصنعون صنما على أنه هو، ويضعونه على فراش ويندبونه، والكهنة ترتل قائلة: ثقوا بربكم، فإن الآلام التي قاساها قد جلبت لنا الخلاص.

واللافت للنظر في هذه العبادة أنه لم يلعن أحدهم إلهه إلا في المسيحية على يد بولس الذي قال: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا؛ لأنه مكتوب: ملعون كل من علق على خشبة". (رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 3: 13).
والحق أن بولس قد كفر بما جاء به المسيح - عليه السلام - وأفشى عقائد غريبة في دينه، عاتبه عليها التلاميذ، وكفروا معتقداته، وأمروه بالتوبة وعدم العودة إلى هذا الكفر مرة أخرى، وأرسلوا إلى من أضلهم بولس، ليحذروهم من معتقداته الفاسدة، وهو أول من نادى بقتل المسيح عيسى ابن مريم وقيامته من الأموات، وهذا ما اعترف به كتابكم:

- فهل صدق الله ومجده يحتاجان إلى كتاب بولس؟!
- وهل عجز الرب عن نشر كلمته بالفضيلة والصدق؟

- وهل يعقل أن يلجأ الرب إلى الكذب والكذابين لنشر دينه بين الناس؟!!

- وما حكمة الإله في أن يوحى إلى كذاب نشر رسالته وتعاليمه؟!!

- وهل رضي الرب بكذب بولس ليكسب مزيدا من الأتباع لدينه؟
أخداع الرب عبده؟! وما مصير من لم يخدعهم الرب ويرسل إليهم كاذبا لينقذهم؟!!

- ألا يخشى ذلك الإله من تفشي الكذب والنفاق بين شعبه؟!
- وكيف أثق بهذا الإله الذي يرتكن إلى كاذب ومخادع لنشر رسالته؟!!

- وهل سيحاسبنا الرب على الكذب يوم الحساب؟ كيف وهو ناشره؟!!

- وما الفرق بين الشيطان والرب في هذه الصفة الرذيلة؟!
- ألم يكذب هو - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - بإعانتة هذا الكاذب وإرسال الوحي إليه؟!!

- وكيف يأمر الله بما لا يفعله هو؟! أليست هذه حجة عليه؟
أليس هذا من الظلم؟ ألم يقل في الناموس "لا تكذب"؟! فلماذا
يعين الكاذب ويوحى إليه؟!¹

**

دب الإسلام في قلبي ولا أدري، سألت عمر:

- لماذا انت مهتم بي وبالرد على تساؤلاتي؟
- أنا لست مهتما بك وحدك، بل مهتم بإيصال الحق لكل باحث
عن الحق، لقد حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ
دعوته وقال: "بلغوا عني ولو آية" وما قلته لك ما هو إلا القليل
فأنا مازال أمامي الكثير والكثير لم أعرفه عن الإسلام، ولا أريد
لك يا دريد إلا الخير.

ورتل قول الله تعالى: "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ
فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (آل عمران 85)

¹ مقتبس من موقع بيان الإسلام

<http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=01-04-0093>

قلت له أمهلني يا عمر، وظلت الأفكار ترتطم برأسي، والتفكير يذهب ويجيء بي، كنت بحاجة لمعرفة الكثير والكثير فكنت أجلس مع عمر بالساعات، قرابة التسعة شهور، كان أكثر شيء يتعبني هو كيف اتخلى عن المسيح وهو الذي قال: (من أنكرني أمام الناس انكرته أمام أبي الذي في السماء)؟

لكن اكتشفت أنني بإسلامي لا أنكر المسيح بل سيظل معي وفي قلبي فالإسلام يعترف به كنبي الله ومن أولي العزم من الرسل.

وبعد تلك الفترة قال لي عمر:

- يا دريد لم يعد لدي شيء لأقوله لك، لكن هناك رجل يجب أن تلتقي به.

كنا في فترة اختبارات فاستنكرت عليه ذلك الطلب في هذا التوقيت لكنه صمم فطاوعته. أخذني عمر إلى مسجد ودخلنا غرفة فيها مكتب يجلس عليه شيخ مسن ضرير، سمح الوجه يكلله. قار وسكينه لم أرهما على رجل من قبل، ألقى عليه عمر السلام فرد عليه الشيخ وعرفه من صوته، أخبره عمر أنه معه ضيف، سأله الشيخ عن

الضيف فقال له: إنه دريد. فرحب بي الشيخ وقد شعرت أنه يعرفني من طريقة سلامه، قال لي:

- يا دريد هل قرأت الإنجيل من قبل؟
 - بالطبع قرأته يا شيخ
 - هل وجدت فيه أن المسيح يقول أنا الله صريحة مباشرة لا تقبل التأويل؟
 - لا لم أجد ذلك أبدا!
 - حسنا سأطرح عليك مسألة وشاركني الرأي فيها
 - تفضل
 - لو أن لك ابنا مطيعا وبارا وصالحا ثم جاء أناس فضربوه وأهانوه، ماذا ستفعل؟
 - قلت له طبعاً سأغضب وأثور وأحاول الانتقام لابني
- قال:

- سبحان الله، فكيف يرسل الله ابنه البار الصالح كما يصفه الكتاب المقدس، ليعذب ويهان ولا يدافع عنه (وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)؟!

لم أجد جوابا فختم حديثه معي قائلا:

- اسمع يا بني، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: " آ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطُّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"، وقال أيضا: "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" [الزمر: ٩]، ولقد عرفت بنفسك الإسلام ولن يجبرك أحد على شيء، فاختار طريق الحق الذي تراه أحق أن تسير فيه.

انتهى اللقاء ثم سلمنا على الشيخ وغادرنا المكان، فسالت عمر:

- من هذا الشيخ؟

قال:

- إنه الشيخ (زنون البدراني) مفتي المحافظة

- أسمع عنه، لكن بدا لي أنه يعرفني!
- بالطبع يا صديقي _قالها ضاحكا_ لقد حدثته عنك كثيرا فانا أتلقى العلم على يديه.
- هل كنت تأتيني بالأجوبة منه؟
- أجل لقد استعنت به بعد الله تعالى في إجاباتي عن أسئلتك
- انصرفنا وعدت إلى البيت وبرأسي حرب طاحنة يجب أن ينتصر فيها الحق، كان عندي في اليوم التالي اختبار في مادة صعبة جدا، لم أستطع فتح كتابها من عصف الفكر بي، حتى أنني خلدت إلى نومي ولم أستيقظ إلا في اليوم التالي وقد انتهت الحرب وأعلنت أي الفريقين أحق بإيماني.
- توجهت إلى الجامعة وأنا مستعد للرسوب في تلك المادة، سأكتب اسمي على ورقة الإجابة وأسلمها وحسب، وصلت إلى الكلية فرأيت عمرا، دنوت منه وقلت له:
- أريدك بعد الاختبار في أمر هام.
- كان عمر متوترا جدا بسبب تلك المادة فنظر لي وقال:

- خيرا يا دريد؟

- خيرا إن شاء الله، فقط سأخبرك بعد الاختبار.

نظر إلي متعجبا من طلبي ومن سكينتي رغم توتر باقي الطلاب،
فسألني:

- هل ذاكرت جيدا؟

- لا، ولم أقرأ المادة حتى.

- ماذا؟!

كما قلت لك، لا تتشغل بأمرى، فقط لا تنس أن تقول : (بسم الله
الرحمن الرحيم) قبل أن تبدأ في الإجابة.

نظر إلي متعجبا ، أحقا أن قلت البسمة بتلك السهولة؟!

دخلنا اللجنة وكنت أجلس خلف طالب كان قبل كل مادة يتمم
بعبارات كنت أسمعها ولا استوضحها لكن خمنت أنها دعاء، فقلت
له وورق الأسئلة يوزع: قل لي يا صاح الكلام الذي تقوله قبل كل
اختبار، فقال دعاءً لكنه ليس المقصود، فقلت له ليس هذا، فقال:
"رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ

لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) " (الروم)، فرددتها خلفه وهو يحملق في مذهولا لا يصدق، وبدا له مني الإسلام فيبكي، وُضعت ورقة الاختبار أمامي، نظرت إلى الأسئلة وكأنني كنت أبيت ليلتي في استذكار هذه المادة، وطفقت أجيب وأنا في غاية السعادة والاندھاش، وكان زميلي الذي لقنني منذ قليل الدعاء كان من حين لآخر يلتفت إلي يحاول أن يتحقق من توقعاته، فأنظر إليه وأبتسم. انتهيت من الإجابة وكنت أول طالب يخرج من اللجنة ، فجلست بالخارج أنتظر عمرا الذي تغيب حتى انتهى الوقت. خرج عمر فاستقبلته وبدا لي أنه كان منزعجا من الاختبار، فقلت له:

- لدي ما أقوله لك، لكن خذني إلى مسجد الكلية أولا

- مسجد الكلية؟ لماذا؟!

- لنذهب إليه أولا

سرنا قليلا ثم قال لي:

- ما الأمر يا دريد؟

- حاولت أن أنطق الشهادة لكن انعقد لساني ولم أستطع التحدث
واكملنا السير، حتى صاح بي عمر قائلاً:

- يا دريد أراك تضيع الوقت، علينا أن نرجع إلى البيت لنذاكر مادة
الغد، يا دريد ما بك، هيا تحدث.

فقلت بثبات بصوت واحد:

- أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله

قلتها وإذ بي أشعر براحة لم أشعر بها قط، كأنني تحررت من
قيود وأغلال كنت أخرجها سنواتي الماضية، قلتها فكأن قلبي طيرا
حبيسا فتح باب قفصه لتوه فطار وهو لا يصدق أنه صار حرا، كان
لها حلاوة في صدري عجز لساني عن وصفها، ففاضت دموعي
معلنة عن تحررها هي الأخرى من النار، ووجهت قلبي وجهة الله
الحق الذي كنت ضالا عنه سني عمري، ما أروعه من إحساس.
أجهشت في البكاء والتفت إلى عمر وإذ به يبكي مثلي، فسألته
متعجبا:

- لماذا تبكي يا عمر!؟

فقال بصوت مرتعش:

- أنا أقول الشهادة في صلواتي خمس مرات يوميا منذ سنوات ولم أشعر بمعناها قبل الآن

وأخذنا الصمت وتملكننا البكاء ساعة من الزمن حتى هدأنا، فقال لي عمر:

- اسمع يا دريد أنت الآن صرت مسلما، وعليك حينما ترجع إلى البيت أن تغتسل بنية الطهارة، وإياك أن تشرب خمرا كما كنت تفعل من قبل، ولا تشتريها لوالديك، ولا تجلس في مجلس خمر وعدة نصائح أخرى، قالها لي فقبلتها بصدر رحب وتفرقنا .

عدت إلى البيت فاغتسلت كما قال لي ، وشعرت بسكينة وهدوء حتى نمت ليلتي تلك كأهنا ليلة أنامها طوال حياتي.

طبعا كنت أقص القصص وأسرق نظرات إلى جاري وأبنائه وبدأ عليهم جميعا الانزعاج من كلماتي، إلا هي، رفعت عيني فجذب وجهها نظري إليه وإذ بها هادئة الملامح، تسمعني باهتمام شديد

لفت انتباهي، لكن سرعان ما صرفت نظري عنها، لكنها حركت شيئاً بداخلي لم أعرف له من قبل سمياً!

انتهيت من حديثي عند هذه النقطة وأذن لصلاة المغرب فاستأذنت جاري في الانصراف وذهبت.

مرت الأيام وأصبح أحد أبناء هذا الرجل ويدعى سلوان صديقاً لي لقرب سنه من سني لكن كانت صداقة بعيدة عن معتقداتنا، كنا نتحدث في كل شيء إلا الدين.

كنت قبل ذلك بفترة رُشح لي أكثر من فتاة مسلمة لخطبتها، لكن لم يكن فيهن نصيب ، أذكر في مرة قال لي والد إحداهن:

- هل خلت البلد من الشباب المسلمين لأزوج ابنتي بشاب مسيحي أسلم؟!!

وقال أخو إحداهن:

- أنت شخص غير دينه وفارق أهله، كيف أستأمنك على أختي؟!!

ولأنني لم أتمكن من تغيير اسمي في البطاقة حيث أن قانون العراق لا يعطيني الحق في تغيير اسم أبي وجدي ، قال لي ولي عروس
ثالثة:

- أنا فخور بك لأنك اخترت الإسلام لكن سامحني إن تزوجت ابنتي
سيحمل أبنائك منها اسما مسيحيا وهذا غير لطيف، وسيسبب لهم
الكثير من المتاعب أنا لا أرضاها لابنتنا!!

فبعد تلك المرات عزمت ألا أدخل بيتا آخرًا خاطبا.

كشفت لي المواقف وبعدها الكثير أن كثيرا من المسلمين يسيئون
إلى الإسلام بسبب سوء تفكيرهم وأخلاقهم، فالحمد لله أنني عرفت
الإسلام أولا قبل أن أخالط هؤلاء المسلمين، فليس كل المسلمين
عمرا!!!

المهم بعد شهرين من صداقتي لسلوان طلبت منه يد أخته حيث
وجدت في صدري رغبة في الزواج بها، رغبة بعيدة تماما عن
المنطق، فكيف أفكر في ذلك وأنا حديث تخرج، أسكن في شقة
كانت محترقة، ليس فيها متاعا إلا ما يبقيني حيا، ولا أملك عملا

ثابتا بل أعمل هنا وهناك إما حمالا، أو عتالا وغيرها من الأعمال التي أتقاضى فيها أجرا بسيطا جدا، لكن رغبتى كانت ملحة في طلبى حتى تملكتنى.

انتظرت من سلوان ردا لكنه كان يتهرب من لقائى حتى رأيته بعد يومين فأوقفته وسألته:

- هل فاتحت أختك في أمر زواجي بها؟

فقال ممتعضا:

- فاتحتها وسألتني كيف سيتزوجني؟ وكيف سيأتي بأهله لخطبتي؟! قلت:

- طبعا لن يأتي أهلي لخطبتها بل سيتم الزواج في المحكمة.

- وأين ستسكن معك؟ وكيف ستعيشان؟ وماذا ستفعل في الخدمة الإلزامية؟ وماذا عن أبي؟!

- كل ذلك سادبره بمجرد أن تقبل هي بي إن شاء الله، أخبرها يا سلوان أنها لن تكون فقط مجرد زوجة لي، بل ستكون هي أُمي وأختي وأهلي كلهم.

هز رأسه ثم قال:

- حسنا سأبلغها كلامك هذا وأرى ماذا ستقول؟

تركني وقد ارتفع أُملي في أن تقبل بي، لست أدري لماذا؟ لكن هكذا قلبي أخبرني، وما كان علي إلا أن أنتظر رأيها.

كان من المفترض أن أنهي إجراءات التحاقني بالجيش لكن كان أمامي وقت لأفعل ذلك، كانت الأيام تمر يوم وراء الآخر وأنا أنتظر رد سلوان بالقبول لكن كانت يحدثني عن مخاوفهم وأجيب بما يقطع تلك المخاوف، ولم أَلح عليه هذه المرة لأعطيهم وقتا كافيا.

وأخيرا رد علي سلوان:

- يا دريد لقد تدارسنا الوضع أنا وأخوتي، واطمأننا لك، وقبلت بك أختي.

قال لي ذلك فصار يومي عيداً، أخيراً قبلت بي، قبلت المسيحية بي وبحالتي وظروفي، قبلت أن تخوض لأجلي مغامرة ستخسر فيها أبيها، وسترشق بها سهام المجتمع ونظرات الناس، لم أصدق رغم توقعي ذلك، هذا ما أخبرتني به ملامحها الهادئة من قبل، رغم أنني أقسمت ألا أجبرها على الإسلام لكنني كنت عازماً على أن أجعل أفعالي معها هي التي تدعوها إليه حتى تؤمن به، فهي فتاة نقية بسيطة بيتوتية، فرض عليها موت أمها وهي صغيرة أن تصير أما وهي طفلة لإخوتها، وحملت المسؤولية منذ الصغر، حتى أن إخوتها كانوا ينادونها بـ (أمي)، تلك الظروف جعلت شخصيتها نقية، هذا ما استنتجته من حديث سلوان عنها وعن معاملتها له ولإخوته وحنانها الذي غمرهم في الوقت الذي كان والدهم يعاملهم بقسوة وغلظة حتى وصل الأمر به أنه كان يضربهم وهم كبار ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كان والد سلوان يذهب إلى العمل من الساعة السابعة صباحا وحتى الرابعة ظهرا، وبناء على ذلك قمنا برسم الخطة ، وتم تحديد يوم الزواج بيني وبين سلوان، حيث لم يكن هناك أي كلام مباشر بيني وبين أخته، وفي اليوم الذي يسبق يوم ذهابنا إلى المحكمة وقبل عودة والد سلوان طرق الأخير بابي، فتحت له وإذ به يقف امام شقتي وبجواره أخته وأمامهم سبع حقائب سفر كبيرة.

ارتبكت حينما رأيته وقد كنت لا ألمح طرفها منذ يوم السطح، ارتعش قلبي حينما وجدتها أمامي، عجيب أمر تلك الفتاة، دخلت قلبي من نظرة واحدة فتمنيته، وها هي أمامي ولا يفصل بيني وبين أن تصبح حليتي إلا ليلة واحدة، كان قلبي يتراقص في صدري لكنني لم أظهر حالته تلك، بل تلذذت بها في داخلي بصمت، ونظرت إلى سلوان متسائلا:

- ما هذه الحقائب؟!

- هي أغراض أختي.

- وماذا سأفعل بها؟

قلت ذلك قاصدا أنني لا أريد أن أكون قد كلفتها فوق وسعها
بسبب هذا الزواج المستعجل، لكنها تكلمت لتجيب عني بنفسها
وقالت:

- تلك أغراضي وأنا أحتاجها.

لم أستطع رد رغبتها كي لا تسيء فهمي، فسحبت الحقائق داخل
شقتي وأغلقت الباب بعدما استأذنا ودخلا شقتهما، التفتت إلى
الحقائق وبدأت أتحمسها وكأنهم هي، كنت أشم رائحتها فيهم، وجود
تلك الحقائق أشعروني بسعادة شديدة وكأنهم طرف خيط بيدي
والطرف الآخر بيدها، كأنهم رسالة فارغة منها لكن خلف فراغها
الكثير من المشاعر التي تفصح عن نفسها بالصمت، وضعت
الحقائق بالقرب من منامي وكأنني قد ضمنت بوجودهم وجودها.

في الصباح كتبت رسالة إلى والدها وكان فيها (عمي فلان، لن
ترجع ابنتك إلى البيت اليوم لأنها صارت زوجتي على سنة الله
ورسوله) ثم خرجت وطرقت الباب عليهم فخرجت لي، وقع مني
نظرة عليها فوجدتها ترتدي ثيابا تبدي جزءا من يديها ورجليها

وشعرها معقود خلف رأسها، حينما رأيتها هكذا شعرت بغيرة شديدة لكن لم أظهر لها، ونويت أن أغير ثيابها تلك إلى ثياب حشمة التي هي أصلا من أصول العقيدة المسيحية التي يهملها الكثير من النصارى كما يهمل الكثير من المسلمات تعاليم الإسلام التي تأمرهن بالحجاب والحشمة!

نزلنا معا بمنفردنا وتركت رسالتي تحت عقب الباب لأرفع الحرج عن أخوتها وليبدو لوالدهم أنهم تفاجئوا بالأمر مثله تماما فلا يتناول عليهم بالضرب إن ظن أنهم كانوا على علم بالخطئة.

كان في انتظارنا أسفل البيت أستاذ جامعي بسيارته الخاصة كان على علاقة طيبة معي وكنت أعتبره أخي الأكبر، ومعه محام؛ لأنني إن ذهبت بالفتاة وحدي إلى المحكمة سأغدو في نظر القانون خاطفا لها ولو تم الأمر برضاها، لذا كان من الضروري أن يتم الزواج على يد محام، وذهبنا جميعا إلى المحكمة.

جهز القاضي ورق الزواج وسأل الفتاة عدة أسئلة وأهمها:

- هل خطفك هذا الشاب؟

- لا

- هل غصبك على هذا الزواج؟

- هل تتفهمين كونه مسلما وأنت مسيحية؟

- نعم.

- هل تقبلين بدريد زوجا لك؟

- أجل.

كتب القاضي الوثيقة وقبل أن يوقع عليها سألها:

- ما هو المقدم والمؤخر الذي تريدينه؟

صمتت برهة ثم قالت بعفوية:

- مقدمي قرآن ومؤخري حجاب!!!

**

قالوا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، لكنها كانت تأتي لصالح سفينتي، فأنا فتاة أعترف بانها ليست عادية، لكن لم أصبح هكذا بإرادتي، بل هكذا هو قدرتي، ماتت أُمي وأنا طفلة، كانت حنون جدا

علي وعلى إخوتي فكان يكسر حنانها غلظة أبي معنا، لكن حينما توفيت شعرت بأن الحياة قد انتهت بالنسبة لي، وشعرت بأنني فقدت الرغبة في أي شيء قد يبعث البهجة في حياتي، وأي بهجة قد أعيشها في غياب أمي؟! تركت الحياة خلف ظهري وجعلت إخوتي هم قبلي فكرست حياتي لهم، أحاول أن أصبح لهم أما بعد أمي.

كنت أشفق عليهم إذا صدر منهم سلوكا جانب الصواب فيثور عليهم أبي ويضربهم، كنت أحاول أن أمتص ألمهم داخل صدري باحتضاني لهم ورعايتي إياهم. وأصبحت علاقتي بالحياة هي تلك النافذة التي أراقب من خلالها المارة في النهار أو أتخذ من القمر ونيسا لي في الليل. وكوننا عائلة محافظة كنا لا نخالط الناس كثيرا.

في يوم وأنا صغيرة وقفت في نافذتي أستريح قليلا من عمل البيت فرأيت نساء يدخلن المسجد القريب من بيتنا ويضعن حجابا على رؤوسهن، تأملتتهن وسألت نفسي: لماذا لا ينزعن هذا الحجاب بعد خروجهن من المسجد كما نفعل نحن؟ مع فارق شكل الحجاب!

شغلني هذا السؤال وبت أراقب تلك النساء باستمرار حتى أحببت شكل حجابهن هذا وتمنيت أن ألبسه مثلهن، لكن كيف؟

ظلت تلك الرغبة دفيئة بداخلي وبسبب هذا الحجاب أصبح لدي فضول لمعرفة هذا الدين الذي يرتدي نساؤه هذا، فكنت أنتظر كل جمعة لأستمع إلى الخطبة التي يلقيها الشيخ في هذا المسجد وكنت أحاول أن أحتفظ في ذاكرتي بأكبر قدر مما يقول، وكان يتغنى بآيات من القرآن كلما سمعتها اقشعر جلدي من حلاوتها. مرت السنوات وأنا على حالتي تلك دون أبدي ما بداخلي لمخلوق، فقط الله يعلم ما في قلبي، حتى أنني كنت أدعوه أن يحقق أمنيته في أن ارتدي هذا الحجاب يوما ما، وجاء هذا المستأجر فسكن في الشقة المقابلة لنا، وبلغني أنه كان مسيحيا وأسلم، كانت دهشتي كبيرة حينما سمعت هذا، وتمنيت لو كنت رجلا فافعل مثله لكنني فتاة لا حول لي ولا قوة.

توافد علينا القساوسة والرهبان وكانوا يتحدثون مع أبي أن يكلم جارنا في أمر إسلامه ليرتد عنه ويعبر إلى المسيحية مجددا، حتى أنهم

عرضوا على أبي أن يزوجني أو إحدى أختي ذلك الشاب لعله وقتها يستطيع السيطرة عليه، كان أبي يشعر بالغضب الشديد تجاه هذا الشاب، ويكره تركه لديننا وذهابه إلى الإسلام، ويبدو أن الكنيسة قد ازعجها الأمر جدا، فليس من السهل أن يفعل مسيحيا ما فعله جارنا، وكان أبي كلما التقى بهذا الشاب وجه إليه استنكاره لفعلته تلك.

وفي يوم بعد الغداء أخبرنا أبي أنه سيصعد إلى السطح ليتحدث مع ذلك المتهور الذي غير دينه عله يقنعه أن يرجع إلى المسيحية، استجابة لتوجيهات القساوسة والرهبان، كنت أقوم ببعض الأعمال المنزلية لكنني انتهيت منها سريعا لأدرك الحوار من أوله، وطلبت من إخوتي أن يرافقونني كي لا يشك أبي في أمري، ولكي لا ينتبه هذا الشاب لي، سرت خلف فضولي لأعرف كيف اتخذ تلك الخطوة الخطرة؟ وبالفعل صعدت مع إخوتي وكان يجلس مع أبي يتحدث، لم يرفع بصره إلي وكأنه لا يراني، بل نظر إلى إخوتي الشباب دون البنات وحسب، وجلست أستمع إليه وكانت كلماته تسقط في قلبي، وأثناء حديثه رفع بصره فوق علي، ارتبكت لكنني احتفظت بهدوئي حتى صرف بصره.

سمعنا الأذان فاستأذن وغادرنا، ولكن ظل كلامه في رأسي يدور،
حتى أنني عانيت من الأرق في تلك الليلة بسبب كلامه.

كم أغبطته على فعلته تلك! وبعد شهرين تفاجأت بأخي سلوان
يخبرني برغبة دريد في الزواج بي، لم أصدق أذني، هل حقا يريد
الارتباط بي أنا؟!!

غلب تعجبي علي فقلت لأخي:

- كيف هذا؟ أنا مسيحية وهو مسلم! كيف سيحضر أهله لخطبتي
من أبي؟! وكيف سنعيش وأين؟!

أجابني أخي بما قاله له دريد، لكنني كنت خائفة جدا وفي قمة
حيرتي، هو فرصتي لأتحول إلى الإسلام، لكن كيف سيقنع أبي؟
وأين سنتزوج؟ في مسجد أم في كنيسة؟ تلاشت فرحتي وأنا أتخيل
أبي واقفا بيني وبين دريد فهو بعد سماعه قصة إسلامه شعر بقوة
إيمانه فبلغ القساوسة ذلك وأخبرهم أن يصرفوا نظر عن تزويجه
إحدانا، فاستسلمت بان ذلك لن يحدث، لكن فاق إصرار دريد
وتمسكه بي استسلامي، كان متمسكا بي لدرجة عجزت عن تفسيرها

كنت سعيدة جدا بموقفه لكنني تظاهرت أمام إخوتي باللامبالاة حتى أصبح أمر عرض زواجه حديثا يوميا في البيت لكن في غياب أبي، واستعاد إخوتي عرض القساوسة بأن تلك فرصة جيدة لنعيده إلى ديننا، لكنني بيني وبين نفسي كنت أمام خيارين، إما أن أقبل به لتتقلب حياتي رأسا على عقب، وإما أن أرفضه فيأتي آخر مسيحي ويطلب يدي من أبي ويطير حلمي بعيدا دون رجعه، كنت بحاجة إلى وقت كاف لأفكر حتى شرح الله صدي للأمر، فضحيت بكل أحلامي في أن أرتدي فستان زفاف أبيض ويكون زفافي في عرس يحضره الجميع، وأسكن في عش زوجية أنا من اخترت أثاثه، وتمسكت بحلم واحد، أن أرتدي الحجاب وأصبح مسلمة..

**

لم أصدق أذني حينما سمعتها تقول: مقدمي قرآن ومؤخري حجاب، أصبت بالدهشة وتمنيت لو أنني أصبت التخمين.

قال لها القاضي:

- يا ابنتي ألسنت مسيحية!؟

- أجل

- إذا أنا أريد قيمة مالية أكتبها في العقد، لا يمكنني كتابة ما تقولينه.

- فلتكن إذا خمسة آلاف دينار عراقي مقدم ومثلهم مؤخر

يا إلهي، ما هذا المبلغ الزهيد الذي ذكرته؟! لا أخفيكم سرا أنا لم أكن أعرف ما هو المقدم وما هو المؤخر قبل ذلك الموقف، فأنا حديث عهد بالإسلام، لكن المبلغ الذي ذكرته زاد دهشتي فهو أقل من دولارين في هذا التوقيت!

كتب القاضي المبلغ ونظر إليَّ المحامي قائلاً:

- يا دريد ، انت في رقبتك لها الآن حجاب وقرآن أمام الله

حركت رأسي بالموافقة وأنا أنظر إليها مذهولاً، وهي مازالت تتحاشى النظر إلي وكأنها تخفي عني أمراً.

انهى القاضي الإجراءات ثم خرجنا كلنا من المحكمة فنظر أستاذي إلي وقال:

- يا دريد لا يمكنكما الرجوع إلى شقتك اليوم فوالدها حينما يعلم بما حدث سيقلب الدنيا، ولن يمر الأمر بسلام، فتعالأ معي إلى بيتي حتى تهدأ الأمور.

كان عرضه محرجا بالنسبة لي لكن لم يكن بوسعي الرفض، فقبلت على استحياء، بينما تركنا المحامي ليتم خطوة هامة! ذهبنا مع أستاذي في سيارته، كانت مشاعري مختلطة بين فرح وخوف، وتعجب وترقب، لكن طفت فرحتي على سطح مشاعري. وصلنا إلى بيت أستاذي وكان مصمما على الطريقة الإسلامية حيث يوجد مكان لاستقبال الرجال ومكان للنساء، جلست في حجرة الرجال بينما أخذت زوجته زوجتي إلى مكان النساء، واخذنا الحديث لمدة ساعتين نتكلم في المصاعب الذي سأواجهها بسبب زواجي هذا، وكان استاذي مسرورا جدا بسبب زواجي هذا فهأنني وجلسنا وقتا طيبا معا.

تهور، لا يهم ماذا يسمى تصرفي هذا؟ المهم أنني سعيدة، لا أنكر أن قلبي يرتعش خوفا مما هو آت، لكن أظن أن الله سيقف بجاني، وصلنا إلى بيت أستاذ دريد وانفصلنا في المكان، استقبلتني زوجة أستاذة استقبالا طيبا وأجلستني على أريكة مريحة ثم قدمت لي بعض الفطائر وكوب حليب ممزوجا بالشاي لأتناول الفطور، لم يكن لدي رغبة في تناول أي طعام، واخبرتها بذلك لكنها ألحت علي، استحييت منها فأخذت قطعة صغيرة من الفطير وتناولتها على مضض، كنت أريد منها شيئا لكن كنت مترددة، تشجعت بعدما تلمست طيبة هذه الزوجة فقلت لها:

- هل لي من طلب؟

- تفضلي يا ابنتي.

- أريد أن أردي حجابا.

- ماذا؟! هل أسلمت يا بنيتي!؟

لا أعرف كيف أصبح مسلمة لكنني أريد أن يكون شكلي كالمسلمات.

- هل قلت لزوجك هذا؟
- لا، أريد أن أفاجئه بالأمر
- وضحي أكثر يا بنيتي، ما هي رغبتك الآن؟
- أريد أن أصبح مسلمة، لأرتدي هذا الحجاب.
- ترقرقت عينا السيدة وارتعشت وهي تردد: الحمد لله، الحمد لله،
شكرا لك يا إلهي، شكرا لك.
- تعجبت من سعادتها وردة فعلها، لكن تذكرت حديث دريد عن
موقف عمر حينما نطق الشهادة أمامه، بعد قليل مسحت عبراتها
وقالت لي وهي تبتسم:
- ردي خلفي يا ابنتي الشهادة لتصيري مسلمة
- حسنا
- لا إله إلا الله، محمدا رسول الله
- لا إله إلا الله، محمدا رسول الله

اقشعر جسدي حينما قلتها، وشعرت كأنني قد سكب على جسدي ماء فاترا غسلني من رأسي إلى أخمص قدمي، فأطفأ نارا كانت تحرق جسدي، عجيب أمر تلك الجملة، لطالما رددت أسفارا ومزامير في الكتاب المقدس لكنها لم تفعل بي مثل ما فعلت بي تلك الشهادة، ما هذا النعيم الذي ورثه المسلمون؟!

احتضنتني السيدة حضنا دافئا ذكرني بحضن أمي، لا أذكر آخر مرة احتضنتني أحد حضنا كهذا. أغمضت عيني فترقرقت عبارتي وسقط معها مخاوفي كلها، وتخيلت أمي هي التي تحضنتني. بعد جرة حنان مكثفة أرسلتني السيدة وقالت لي:

- تعالي واغتسلي بينما أجهز لك ثيابا أخرى وحجابا، واطمأني، لم يلبسهم قبلك أحد.

- لكنني اغتسلت قبل أن أترك بيتي!

- لا، هذا غير هذا، هذا غسل طهارة الإسلام، اغتسلي بنية اعتناقك الإسلام لتخرجي كيوم ولدتك أمك بلا خطيئة. فالإسلام يجب ما قبله.

هل بمجرد اغتسالي سيغفر الله لي ما سلف، ألا يوجد في الإسلام
أب اعتراف، ولا صكوك غفران؟!

- أجل يا بنيتي ، في الإسلام لست بحاجة إلى كل ذلك، فقط
توجهي إلى الله بالتوبة وسيغفر ذنبك، ليس هناك واسطة في
الإسلام بينك وبين الله

شعرت براحة شديدة، كنت أصلا أنزعج سابقا أنني كلما اقتربت
خطيئة كان يتوجب علي أن أذهب إلى الكنيسة وأقابل أب اعترافي
وأذكر له ذنبي، فيصلي من اجلي ليغفر الله لي، وكأنني إن صليت
بنفسي لنفسي فلن يقبلني الله، أليس لأب اعترافي أب اعتراف أعلى
مرتبة منه، فما الذي يميزه عني مادام كلانا نخطئ؟؟!!

دخلت دورة المياه واغتسلت ..

بعدما انتهيت من حمامي، ناولتني السيدة جلبابا و حجابا، وقفت
أمام مرآة الحمام وحاولت أن أرتدي الحجاب لكنني لم أحسن لفه
وخرجت كما أنا، نظرت إلي السيدة مبتسمة وقالت:

- ما شاء الله، ما شاء الله، تبدين كالقمر يا بنيتي.

- حقا؟!

- طبعاً، لكن دعيني أضبطه لك.

اقتربت مني وبحنو بدأت تعدل الحجاب وهي تقول لي:

- للحجاب شروط يجب أن نلتزم بها، لا ينبغي أن نظهر شيئاً من شعرنا، ولا رقبتنا.

- لكنني أرى الكثيرات من المسلمات يظهرن خصلات شعرهن الأمامية كما فعلت!

- اسمعي يا بنيتي، لا تأخذي الإسلام من سلوكيات المسلمين وأفعالهم بل من القرآن والسنة، لأن أفعال المسلمين حالياً وفي ظل الفتن التي نعيشها في كل الدول العربية أصبحت تبتعد شيئاً فشيئاً عن السلوك القويم الذي يرضي الله، وستجدين الكثيرات محجبات لكنهن ملعونات لأن حجابهن خالف شروط الحجاب الشرعي وأصبحن كاسيات عاريات، ترتدي حجاباً على ملابس ضيقة أو مكشوفة ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلا تتشبهي بهن بل بالأخريات اللاتي التزمن بالحشمة والحجاب، اجعلي قدوتك نساء النبي صلى

الله عليه وسلم ، فمن تشبهت بهن قولاً وفعلاً اقتربي منها، ومن خالفتهن لا تقلديها، ولا نملك لها إلا الدعوة بالهداية.

- ما أطيب حديثك يا سيدتي!

ارسلتي من بين يديها ونظرت إلي نظرات حب وإعجاب قائلة:

- انظري الآن إلى صورتك في المرأة.

نظرت وكأنني لم أعرفني للوهلة الأولى، امعنت النظر في حجابي ووجهي، لم أعلم أنني جميلة قبل تلك اللحظة، سألت دموعي ولم أنطق بكلمة، نظرت إلى انعكاس صورتي في مرآة طويلة أظهرتني بالكامل، الحجاب والجلباب، ما هذه الراحة التي تلفني، ما هذا الإحساس الرائع الذي احسسته وأنا في هذه الملابس، شعرت أنني محصنة كلياً، لا يجسم الجلباب شيئاً مني، يا للروعة! احتواء ودفء عجيب، لا أريد أن أخلع تلك الثياب أبداً، لا أريد ارتداء ثيابي السابقة أبداً، أريد تلك العفة والطهر.

احتضنتني السيدة من كتفي ووقفت خلفي لتظهر صورتها هي الأخرى على المرأة وهي تنظر إلي، وقالت:

- اخشى على دريد من سعادته حينما يراك بهذه الهيئة.

- أل هذه الدرجة؟!!

- وأكثر، يا حبيبتي، وأكثر.

- شكرا لك يا سيدتي عل هذا الجلباب وهذا الحجاب.

- لا تشكريني على شيء، فالشكر أولا وآخرا لله.

- الحمد لله.. هل لي من طلب آخر؟

- طبعاً يا حبيبتي ، تفضلي.

- أريد أن أصلي

أخذتني السيدة وعلمتني كيف أتوضأ، وأخبرتني أنني إن صليت بعد غسلي فلست بحاجة لوضوء، لكنني اتوضأ لأتعلم الآن الكيفية، وبالفعل بدأت أتوضأ كما تفعل، وكانت تخبرني أنني كلما غسلت عضوا سقطت ذنوبي التي فعلتها بهذا العضو، ثم علمتني كيف أحدد القبلة، وكيفية الصلاة، فحفظت خلفها الفاتحة التي لا تصح

الصلاة إلا بها، وسورة الإخلاص. ووقفت أصلي الضحى لأتذوق لأول مرة روعة الصلاة..

سجدت بين يدي الله وفاضت دموعي، للمرة الأولى أسجد لله وحده دون شريك، الله الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، شعرت بأن الكون كله يسجد معي لله وانني قد امتزجت به، الكل يسجد لإله الكون، الكل يشهد له بالوحدانية الحقيقية لا الوحدانية المزيفة التي ينافي تطبيقها حقيقتها، ففي الوقت الذي حشى فيه القساوسة رؤوسنا أن الله واحد في ثلاثة، وأن تلك هي الوحدانية الكاملة، كانوا يقولون أن كل أقنوم له ذاته المنفصلة وإرادته الخالصة، فأين الوحدانية في ثلاث ذوات منفصلة حقيقة؟؟!

ما أسهل توحيد الله في الإسلام، توحيد لا يناقض العقل، ولا يجهد الفكر في استيعابه. حمدت الله كثيرا على أن هداني للإسلام وحقق أمنيته، لكن ستبدأ الآن رحلتي في التعرف على كامل الإسلام، سيصبح تاريخ ميلادي الحقيقي هو اليوم ١٩٩٣/٩/٣م

كانت السيدة قد تركتني وذهبت إلى المطبخ لتجهز الغداء لنا، فانتهيت من الصلاة وجلست أتكلم مع الله بكل ما في صدري، فوق بصري على كتاب وإذ به القرآن الكريم، مددت كفي إليه وأنا أرتعش، هذا كلام الله، شعرت برهبة تسري في جسدي، فتحتة وحاولت اقرأ ما وقعت عليه عيني من الآيات ولحسن حظي كان هناك شرح جانبي لبعض الكلمات فأخذت أقرأ واشعر بحلاوة تدب في روحي حتى لم يعد لدي رغبة في ترك المصحف من يدي حتى دخلت على السيدة لتخبرني أن الغداء جاهز وأني سأدخل على دريد الآن في المطبخ لأتناول معه الطعام وحدنا فابتسمت وتجهزت لمفاجأتي..

مرت ساعتان وأنا وأستاذي نتبادل الحديث حتى انتهت زوجته بإخبارها إيانا أن الغداء جاهز، فدلني الأستاذ على مكان المطبخ وانسحب لأن زوجتي ستأتي لتتناول الطعام معي، كان المطبخ واسعاً وبه منضدة قد وضع عليها الطعام منسقا، سحبت أحد الكراسي الملتصقة بالمنضدة وجلست انتظر زوجتي، بعد قليل طرقت امرأة

يدي، استشعرت الآن فقط أنني أكملت نصف ديني بنصفه الآخر، أخذنا البكاء ونحن هكذا حيناً حتى أرسلتها من بين يدي وقبلت جبينها فاحمر وجهها خجلاً وطأطأت رأسها حياءً. جلسنا لناكل، لكن أي طعام هذا الذي يمكننا أن نتناوله وتلك السعادة تملأ أحشائنا؟!

رفع أذان الظهر فرددت خلفه وهي فعلت كما فعلت، وبعدما انتهى الأذان وقفت أصلي بهم إماماً، أروع يوم مر علي، اليوم يوم زواجي ويوم إسلام زوجتي، كم أنت كريم يا إلهي. فرغت من الصلاة والتفتت إلى زوجتي وقلت لها:

- أتعرفين أول صلاة لي بعد إسلامي صليتها كم ركعة؟

- كم؟!

- ثمانية عشر ركعة، كانت صلاة المغرب، حينما نطق بالشهادة علموني الصلاة، لكنني لم أفهم بالضبط كيف أصلي، فأذن المغرب وتركني عمر وصديق ونزلاً يصليان في المسجد،

فتوضأت وأخذت أصلي، وأصلي حتى عادا وأنا ساجد فقامت

وختمت الصلاة، تعجبا من فعلتي وسألاني باستنكار:

- هل تصلي منذ نزلنا إلى الآن؟!

- أجل

- كم ركعة صليت إذا؟!!

- ثمانية عشر ركعة.

ضحكا وقالوا:

- لماذا كل هذا؟ المغرب ثلاث ركعات فقط.

- ألم تقولاً لي صل ركعتين وتشهد، ركعتين وتشهد؟!

فضحكا مجدداً ووضحا الأمر لي، فشاركتهما الضحك.

ضحكت زوجتي ضحكة نقية أضفت على الموقف عذوبة ونقاء

أثلج صدري.

عاد والد زوجتي بعد دوامه إلى البيت ليتفاجأ بفعلتنا، وانقلبت

الدنيا، حاول الضغط على ابنائه ليتأكد أنهم لا يعلمون شيئاً عن

فعلة أختهم، لكنهم نجحوا في التظاهر بأنهم فوجئوا مثله، فذهب إلى قسم الشرطة ليبلغ أنني اختطفتها، لكن كانت المفاجأة أنه وجد القسم قد بلغ منذ ساعات أن الزواج تم في المحكمة وعلى يد محام وأنه قانوني لا شبهة فيه.

ثار الرجل، وهاج، وماج، وذهب إلى قسم شرطة آخر في نفس المنطقة ليجد لديه هو الآخر علم بالزواج وعنده صورة من العقد ليصبح بلاغه بلا فائدة، كرر الأمر في كل الأقسام المحيطة به ليجد نفس النتيجة. هذا ما فعله المحامي بعدما تركنا عند المحكمة، لقد توقع فعلة والد زوجتي فذهب إلى كل أقسام الشرطة في المنطقة وأعطاهم صورة من وثيقة الزواج، وهكذا برأني من تهمة الخطف..

قضينا أسبوعا في بيت أستاذي كان بمثابة فترة خطبة لنا، حدثتني زوجتي عن طفولتها وكيف تمنيت أن ترتدي الحجاب منذ صغرها في الليلة الأولى، تعجبت جدا وسألت نفسي، هل هداني الله للإسلام من أجلها هي؟!!

وفي الليلة الثانية سألتني هي عن باقي قصتي مع عمر، وكيف كان رد فعل أهلي حينما علموا بإسلامي؟ فاستكملتها لها...

"بعدما أعلنت إسلامي لعمر قررت أن أخفي الأمر عن أهلي، وبالفعل مرت ستة أشهر علي وأهلي لا يعرفون شيئاً إلا أنني لم اذهب إلى الكنيسة وكنت أتججج بأنني منشغل بالدراسة، وساعدني على ذلك أنني التحقت بالمدينة الجامعية فكنت بعيداً عن أعينهم أغلب الوقت، كنت في تلك الفترة أتعلم من عمر أصول الدين وأساسياته وأركانه، وتدارسنا معاً أدلة تحريف الإنجيل، واستعنا بفيدويوات للشيخ أحمد ديدات. (سأسمعك إياها لأنها ستكشف لك الكثير).

كان أول ما بحثت عنه هو قول القساوسة ورجال الدين أن الكتاب المقدس كان قد انتشر بملايين النسخ وبلغات العالم المعروف آنذاك. فكيف سيتم التحريف لكتاب منتشر بين الشعوب وبلغاتها المتعددة وهي متفقة ومتشابهة على الرغم من كثرتها فلو حرفت ألفاظ النسخ لظهر ذلك في بعض النسخ؟

فجاءني عمر بالرد:

- إن تشابه النسخ وتطابقها على الرغم من كثرتها هو أمر غير مسلم به لوجود الاختلاف في تلك النسخ من ناحية واختلافها في عدد الاسفار من ناحية أخرى .

ومعرف أن نسخة الكاثوليك تختلف عن نسخة البروتستانت في عدد الاسفار حيث تزيد النسخة الكاثوليكية على النسخة البروتستانتية بسبعة أسفار وأكثر، ويطلق على هذه الاسفار السبعة الزائدة أسم (الأبوكريفا)، مع العلم بأن هذه الاسفار السبعة هي من ضمن الترجمة السبعينية واللاتينية و قد اكتسبت قانونيتها وصارت مسلمة بين جمهور المسيحيين بعد انعقاد مجمع (قرطاج Carthage) سنة 397 م وبقيت هكذا إلي مدة 1200 عام .

ولا ننسى أن مجمع ترنت في القرن الخامس عشر قد صادق عليها إلي أن ظهرت فرقة البروتستانت في اوائل القرن السادس

عشر وأنكرت قانونية هذه الاسفار وحذفتها من الكتاب المقدس.
وبالتالي يحق لنا أن نوجه هذا السؤال إلي البروتستانت :

أليس حذفكم لهذه الاسفار السبعة يدل على أن الكتاب المقدس
كان محرفاً تحريفاً بالزيادة طوال مئات السنين والاجيال حتى
وقت ظهوركم وإنكاركم لهذه الاسفار !؟

وهذا يعني ان كتاب الكاثوليك الموجود الآن محرف بالزيادة .

وهناك نقطة مهمة أخرى يا صديقي:

لقد تبين أن الفقرة السابعة من الاصحاح الخامس من رسالة
يوحنا الأولى والتي جاء فيها : ((فإن الذين يشهدون في السماء
هم ثلاثة ، الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد))

لقد تبين أنها فقرة مزيفة ليست موجودة في الأصول اليونانية
المعول عليها أي إنها فقرة دخيلة ليست من المتن ، وبالفعل لقد
تم حذف هذه الفقرة المزيفة من الترجمة الرهبانية اليسوعية
المطبوعة سنة 1986 ، ومن التراجم الكاثوليكية العربية الحديثة
وتم حذفها من الترجمة الفرنسية المسكونية ومن ترجمة (لوي

سيجو) الفرنسية وتم حذفها من جميع الترجمات الغربية الحديثة كالترجمة القياسية الانجليزية . . . إلخ، إلا ان البروتستانت ما زالوا يطبعون هذه الفقرة ضمن الترجمة العربية للكتاب المقدس وكأن لا شيء في الأمر، وبالتالي يحق لنا أن نوجه هذا السؤال للبروتستانت :

- ألا يدعون أن من زاد شيئاً على أسفار الكتاب المقدس يزيد الله عليه بالضربات والبلايا كما في رؤيا [22 : 18]
وبناء عليه أليست الفقرة السابعة من الاصحاح الخامس من رسالة يوحنا قد تبين انها زائدة على الكتاب فلماذا ما زالوا يدخلونها ضمن طبعات الكتاب المقدس أم إن الضربات والبلايا لا تعني لهم شيئاً !!؟

وإذا فرضنا جدلاً بأنهم يعتقدون أن ما قامت به الترجمات الغربية الحديثة كالفرنسية والانجليزية وما قامت به التراجم الكاثوليكية العربية الحديثة من حذف لهذه الفقرة هو عمل باطل ولا يجب أن يكون، وبالتالي :

أليس من أسقط شيئاً من أسفار الكتاب المقدس يسقط الله نصيبه من شجرة الحياة كما يدعون وكما جاء في رؤيا [22 : 19] ؟!

فهل سقط نصيب الكاثوليك وكل من قام بحذف هذه الفقرة من شجرة الحياة ؟؟.

ونوجه هذا السؤال إلي الكاثوليك الذين حذفوا الفقرة الواردة في رسالة يوحنا وإلي كل من قام بحذفها من الترجمات السابق ذكرها :

أليس حذفهم لهذه الفقرة من الكتاب المقدس يدل على أن الكتاب المقدس كان محرفاً تحريفاً بالزيادة طوال مئات السنين حتى وقت اكتشافكم أن هذه الفقرة مزيفة وليست من الأصول المعول عليها وبالتالي قاموا بحذفها ؟

أليس هذا إقرار منهم بأن كتابهم كان محرفاً بالزيادة ؟
والعجب اننا نجد نسخ منقحة للكتاب المقدس قد أعيد النظر فيها كنسخة الملك جيمس الجديدة المنقحة و التراجم الغربية الحديثة وقد

تم حذف عدة فقرات مهمة منها، تشكل تعليمياً أساسياً في المسيحية كتلك الفقرة الوارد في رسالة يوحنا الاولى [5 : 7] وهي الخاصة بصيغة التثليث [فقد تم حذفها من النسخ المنقحة ، وهكذا مع فقرات أخرى في الكتاب المقدس .

ولا يستطيع أي مسيحي أن ينكر أن هناك مراجعات مستمرة للكتاب المقدس ونسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس والتي تعد في نظرهم أنقى النسخ وأحسنها وجدوا فيها الكثير من الفقرات الزائدة والاطفاء ولقد كانت نتيجة ذلك : إصدار الترجمة الانجليزية المراجعة في الاعوام 1881 _ 1885 ، ونظيرتها الترجمة القياسية الأمريكية في عام 1901 .

واستمرت عملية تنقيح التراجم ومراجعتها إلي أن صدرت الترجمة القياسية المراجعة للكتاب المقدس بعهديه _ القديم والجديد _ في عام 1952 .

هذه المراجعات _ وما يتبعها من الحذف والاضافة _ تثير تساؤلاً حتمياً وهو :

إذا كان الكتاب المقدس وحياً إلهياً من السماء أنزله الرب سبحانه وتعالى فكيف يسمحون لأنفسهم بالحذف منه والإضافة فيه ومراجعة فقراته بين فترة وأخرى وإعادة النظر فيه !!؟

ثم نقول إذا سلمنا جدلاً بتشابه النسخ فإن ذلك ليس دليلاً على عدم تحريفها وذلك لاحتمال التحريف في النسخة الأولى الأصلية . ، فاشتهار النسخ لا يمنع وقوع التحريف في الأصل .

أن نسخ الاسفار المقدسة انتشرت في القرن الرابع وصعب التحريف اللفظي من بعدئذ ، والتوراة حرفت في بابل سنة 586 ق. م والأنجيل حرفت سنة 325 م .²

اليهود والنصارى بين أيديهم ثلاث نسخ مشهورة من التوراة ، وهي التي تتفرع عنها جميع النسخ والترجمات الأخرى وهي :

1 _ النسخة العبرية : وهي المقبولة والمعتبرة لدى اليهود وجمهور علماء البروتستانت وهي مأخوذة من النسخة الماسورية وما ترجم عنها .

² رد الشبهة مقتبس من موقع ابن مريم ، وللاستزاده يرجى الضغط على الرابط ادناه
<http://www.ebnmaryam.com/alta7reef2/alta7reef2.htm>

2 _ النسخة اليونانية : وهي المعتبرة عند النصارى الكاثوليك ،
والارثوذكس وهي التي تسمى السبعينية وما ترجم عنها .

3 _ النسخة السامرية : وهي المعتبرة والمقبولة لدى السامريين من
اليهود .

وإذا عقدنا مقارنة بين النسخ الثلاث ، وجدنا بينها تبايناً شديداً فيه
دلالة واضحة على التحريف.

كنت أثق في عمر جدا وكان يعاملني كأنني ابنه الصغير ،
وتعمقنا معا في الإسلام لمدة ثلاثة أشهر حتى دخل علي شهر
رمضان، فاحترت كيف أتصرف؟ وكيف أصوم ولا يلاحظ أهلي
ذلك؟ سألت عمرا فقال لي: تأخر في الكلية حتى تقترب المغرب
وعد إلى المنزل بعد المغرب وتناول الإفطار، فعلت ذلك فترة وكنت
يوم الجمعة أتججج بأني عندي أمور لأفعلها خارج البيت فأخرج
وأبلغهم أنني سأكل بالخارج، حتى بدأت أمني تشك في أمري وحدثت
أبي في شكوكها، فقام أبي ذات يوم بنفسه وحضر إلي الفطور،

وأمرني أن آكل، حاولت التحجج بدراستي لكنه أصر، فتظاهرت بتناول الطعام بينما كان أبي يقف أمام مرآة تبعد عني عدة أمتار ليحلق ذقنه، حيث كانت تلك عاداته اليومية، فكنت ألف شطيرة وأضعها في حقيبتي التي سأخذها إلى الجامعة دون أن يشعر، وإذا وقع بصره علي أتظاهر أنني أمضغ الطعام، حتى فرغ أبي من حلق ذقنه جاءني ونظر إلى صينية الطعام يتفحصها، وسألني:

- وسهل انتهيت.

قلت وأنا أتظاهر بأني ألوك الطعام:

- أجل يا أبي انتهيت، سأذهب إلى الجامعة كي لا أتأخر.

وبعدما هرجت من البيت مررت على مكان تمر عليه الهوام من الحيوانات وألقيت به الشطائر بنية إطعامها، وسترها ربي معي تلك المرة، لكن شكوكهم مازالت قائمة حتى جاءني أبي بعدها بثلاثة أشهر وسألني بهدوء:

- دريد ما بك؟

- لا شيء يا أبي، أنا بخير

- لا انت متغير جدا منذ فترة.
- أنا! كيف؟!
- لم تعد تشرب خمرا، ولا تذهب إلى المقاهي والنوادي!
- هل إن شربت خمرا وذهبت إلى المقاهي سأصبح ابنا صالحا؟!
- كنت تفعل من قبل، فلماذا تغيرت؟ هل لديك أصدقاء مسلمين تأثرت بهم؟
- شعرت وقتها بشجاعة عجيبة وقوة لم تكن لدي من قبل، وقلت بكل ثبات:
- أبي لقد أسلمت..
- نزل الخبر على أبي رجل الدين الشماس كالصاعقة ورفع يده ليصفعني بها، لكنه سحبها وأسرع إلى المطبخ، وإذ بي أسمع صوت درج السكاكين يفتح، ففررت إلى سطح البيت وصراخ أمي وإخوتي يلحق بي، كانت الأسطح متلاصقة فكنت أقفز مهرولا من سطح إلى آخر حتى وصلت إلى الشارع، كنت أركض ولا أنظر خلفي، حتى وصلت إلى الشارع الرئيس المؤدي إلى المحافظة، كانت تلك

الفترة مضطربة أمنيا واقتصاديا على العراق، فكانت الطرق تقفل من الساعة السادسة مساء حتى الساعة صباحا، وصلت إلى موقف السيارات التي كانت تنتظر الصباح لتتحرك، كانت الساعة العاشرة والنصف مساء، حاولت اقناع أحدهم بضرورة إيصالني إلى المحافظة لكنه رفض خشية أن يطلق علينا رجال الشرطة النار، أو يمنعونا من المرور.

ألقت هيئتي الريب في قلوب السائقين؛ تمزقت ملابسي من الجري والقفز على الأسطح، فلم أجد بدا من السير على قدمي حتى المحافظة وإلا أدركني أبي وأمسك بي.

كان الطريق موحشا جدا وبلا إضاءة ولا أسمع إلا صوت عواء الكلاب، لا انكر أنني شعرت بالخوف لكنني تذكرت تكبير المسلمين يوم فتح مكة

وبدأت أردد وأنا أبكي: "الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، لا إله إلا الله" فقذف

الله في قلبي الاطمئنان، حتى لمحت ضوء سيارة قادمة من القرية
فقلت في نفسي: لقد ادركني ابي وانتهت حياتي..

تسمرت مكاني ونطقت الشهادة استعدادا للموت..

اقتربت السيارة مني فاذا بها حافلة، فظهرت أمامها وأشرت بيدي
حتى توقفت عندي وفتح الشباك الأمامي وإذا بشيخ كبير يسألني
متعجبا: ماذا تفعل هنا يا بني في هذا الوقت؟!

لم أعرف بم أجيب، وخشيت أن يكون ومن معه نصارى، فقلت:

- خالتي مريضة وتحتاج إلى نقل دم ووحدني من يوافق دمي
دمها.

فقال لي الشيخ: حسنا يا بني اركب معنا فنحن متجهون إلى
المحافظة، وفتح صندوق السيارة الذي توضع فيه الأحمال. سبحان
الله، كان ذلك الرجل قد أخذ إذنا بالعبور لحضور عرس في
المحافظة لذا تمكن من السير في هذا الوقت المتأخر، وعبرنا دون
أن يمنعنا رجال الشرطة.

وصلت السيارة إلى وجهتي فنزلت منها والتفت إلى الشيخ قائلاً:

- سامحني يا عمي لقد كذبت عليك، فليس الأمر كما قلت لك.

- كيف يابني؟!

- أنا كنت نصرانيا وأسلمت وحينما علم والدي بإسلامي كاد يقتلني فهربت منه.

رق الشيخ لحالي وكان مسلما فعرض علي أن أرافقه إلى البيت حتى الصباح لكنني رفضت وأخبرته أنني ذاهب إلى صديق لي فأخذ مني عنوانه وأوصلني إلى بيت عمر وقد كانت الساعة قد اقتربت من الثانية عشرة ليلا. طرقت البوابة الخارجية لبيت عمر وانتظرت حتى رد علي، وأبدى تعجبه من مجيئي إليه في تلك الساعة فقلت له:

- ألا تستقبل صديقك المهاجر؟!!

ضمني عمر إلى صدره بحب شديد وأدخلني بيته لتبدأ مرحلة جديدة في حياتي لا أعرف ماذا ينتظرني فيها.

بعد يومين ذهبت أنا وعمر لصلاة الجمعة وعندما عدت إلى البيت تفاجأت بأبي وأمي في بيته، كانت صدمتي كبيرة حينما رأيتهما وحينما رأيتي أُمي أخذها البكاء واخذت تلومني على تركي البيت، وقال لي أبي: لقد كسرت ظهري بفعلتك تلك.

قلت له:

- يا أبي أنا لم أرتكب جريمة، أنا أسلمت فقط!
- أسلمت ولم تحسب لنا حسابا، ولم تفكر في أخواتك البنات، لقد أضعت مستقبلهم بفعلتك تلك، يا خسارة تربيتي لك.

في تلك اللحظة ألهمني الله أن أقول له:

- يا أبي الإسلام دين رحمة ولا يسبب الضرر للآخرين
- ودار حوار بيني وبينهما وجدال كان مختلطا ببكاء أُمي وعتاب قاس من أبي حتى عرض علي أبي أن أظل مسلما كما أنا لكن أرجع معهما إلى البيت ولا أشهر إسلامي؛ كي لا أسيء إلى أخوتي البنات، ويغلق باب الزواج في وجههن؛ لأن إسلام أي

فرد في أسرة نصرانية يضع خطأ أحمرًا لمصيرها بسبب نظرة
الأهل والأقارب لها وكأن الإسلام فيها وصمة عار!!

فأجبت على عرض أبي قائلاً:

- أما عن عدم إشهار إسلامي فلن يؤثر على إسلامي في شيء،
فكم من مسلم حول العالم مكتوب في بطاقته أنه مسلم وهو في
حقيقة الأمر لا يمت للإسلام بصلة، الإسلام في قلبي وأفعالي
وإن لم أشهر ذلك في بطاقتي، وأما بخصوص عودتي إلى
البيت فلن أرجع معكما الآن.

انتهى اللقاء وودعتني أمي بكائها الحارق، وشهقاتها التي تقطع
نياط القلب، لكن ماذا عساي أن أفعل لأسعدّها؟ هل أرجع إلى
المسيحية لترضى عني أمي ويغضب علي الله الواحد الأحد؟!

كدت أستكمل حديثي إلا أن زوجتي قد غلبها النعاس وهي تسمعني،
كنا نبيت في حجرة استقبال الضيوف، كان بها سريران، أبيت على
واحد وهي تبيت على الآخر، كانت تجلس على سريرها تسمعني
حتى غلبها النعاس فاقتربت منها، وبسطت اللحاف عليها ثم جلست

على فراشي أتأملها، لقد امتدني بقوة عجيبة منذ أن صارت زوجتي، اجتمع عالمي كله فيها، وكان كل همي أن أحافظ عليها وأحميها من كل المخاطر التي ستواجهها معي، كان بداخلي خوف شديد عليها فهي فتاة رقيقة جدا، ولأنها حديثة عهد بالإسلام فحتما ستمر باختبارات صعبة حتى يستقر الإيمان في قلبها كما حدث معي، لقد شعرت بعظم المسؤولية التي أحملها على عاتقي.

مر اليوم الثالث وجاء المساء لأستكمل لزوجتي قبل نومنا قصتي، لقد بدأت تعتاد علي، شعرت أنني أعرفها منذ زمن وكأن روحي وروحها كانا يعيشان معا وافترقا ثم التقيا مجددا فتألفا...

مر علي أسبوع في بيت عمر، وذات يوم سمعت حديث يدور بينه وبين أحد أفراد أسرته في الحجرة المجاورة وقد كنت أبيت في حجرة الاستقبال مع عمر، وكانت أسرته كبيرة العدد لذا سبب وجودي لهم حرجا، سمعته يقول:

- هل ستطول مدة مكوث صديقك هنا، يا عمر؟

- وماذا أفعل؟ هل أطرد صديقي الذي لجأ إلي ليحتمي بجواري؟
لا طبعاً لن أفعل ذلك أبداً.

شعرت وقتها بضيق وحرص شديد، فخرجت من البيت دون أن أخبر عمراً، وسرت على قدمي ست ساعات لا أعرف لي وجهة، شعر بألم شديد يعصر قلبي، شعرت بوحدتي وغربتني وأنني بلا مأوى، اختنقت وبكيت وحدي لا أعرف ماذا أفعل؟ أو أين أذهب؟ ست ساعات أسير هائماً على وجهي، تذكرت ما حدث بالنبي صلى الله عليه وسلم في حادثة الطائف، لجأت إلى الله بدعائي أن يلهمني فعل الصواب، فما كان أمامي إلا أن أرجع إلى أبي وليحدث ما يحدث، فأنا لن أترك الإسلام حتى لو كان في الأمر موتي. وجعلت قريتي وجهتي..

وصلت إلى البيت ووقفت أمام الباب متردداً في طريقه، لكن ليس لدي خيار آخر، طرقت الباب وقلبي يرتجف، فتح لي أبي وحينما رأني قال لي شامتا: أكلت التراب ورجعت؟!!

نزلت كلمته على قلبي كالخنجر، إحساس عصر قلبي، لكنني
امتصت الألم وقلت بكل هدوء:

- يا أبي لقد اشتقت إليكم وجئت لأراكم، فإن كنت لا تريدني
سأرجع من حيث أتيت..

خرجت أُمي على صوتي متلهفة تتاديني قائلة:

- دريد يا بني، تعال أدخل فأنا لم أنم مذ تركتنا.

كانت حالتها يرثى لها فدخلت، وبقيت في البيت. الغريب أنهم
كانوا لطفاء جدا معي حتى أنني كنت أصلي ولا يعلق على فعلي
أحد منهم.

بعد يومين جاءني عمر، وسألني عن سبب مغادرتي البيت
فجأة، أخبرته بما سمعت، فحزن لأنني سمعت هذا الحوار وبدأ
يبرر لي سبب قولهم هذا، لم يكن بحاجة إلا تبرير فوضعي كان
بالفعل محرجا. عرض علي أن أذهب معه إلى بيت صديق له.

- لكن يا عمر إن ذهبت معك سيحدث من أهله كما حدث من
أهلك!

- لا لن يحدث ذلك، فأهله يمتلكان بيتين صغيرين إحداهما للشباب والآخر لباقي العائلة، وستبقى في بيت الشباب.

انتقلت إلى بيت هذا الشاب، وقضيت فيه زمنا، وكنت أذهب إلى أهلي أيضا كي لا يكتشف باقي أفراد العائلة أمري حتى خطبت أختي الكبرى، واقترب يوم العرس، وكنا نصنع يوم حناء للعروس ويشرب فيه الخمر، فشعرت أنني في مازق، كيف أحضر هذا اليوم وهو فيه ما فيه من المنكرات؟ كان الموقف محيرا لي ولعمر وأخذ يفكر كيف ينقذني منه بشكل لا يكشف أمري، حتى وجد حلا فهاتفني وقال:

- دريد، تعال غدا في الساعة السادسة صباحا في المستشفى المركزية.

- نعم، ماذا أفعل في المستشفى في هذا الوقت الباكر؟!

- تعال وستعرف كل شيء

المهم انني ذهبت فعلا وخرجت من البيت دون أن يشعر بي
أحد وذهبت إلى المستشفى وإذ بعمر قد اتفق مع أحد الأطباء
الذي تربطه به صداقة أن يجري لي عملية الختان.

- ماذا؟؟!! عملية ختان!!

- هذا هو الحل الوحيد، وإلا اذهب إلى البيت واحضر جلسات
الخمير.

- لا، لا، العملية أهون.

خضعت للعملية وتم تخديري بالكلية، وبعدما استفتت من
المخدر عدت إلى البيت، كان أبي يشتاط غيظا وغضبا مني
وسألني عن سبب غيبتني فأخبرته بما فعلت، ثار علي وقال:

- وماذا سنقول للضيوف؟؟!!

- أخبرهم انني أجريت عملية الزائدة الدودية، وليفحصوني إن
استطاعوا

لم يستطع أبي فعل شيء، فقط صارت حالتي أمرا واقعا عليه
أن يتعامل معه كما هو، وبالفعل أخبر الضيوف بالعملية المزيفة

وبدلاً من أن أشاركهم حفل الحناء والخمر واللهو، كنت طريح الفراش، منعزلاً عن هذا اللهو، محتفظاً بإسلامي.

مر العرس، ومرت الأيام، وتزوجت أختي الثانية وأعلنت بعدها إسلامي لتستأنف علي المضايقات ومحاولات تنصيري وتعذبي التي كانت قد بدأت منذ كنت طالبا في الجامعة ومنذ أن شك أساتذتي النصاري في أمري بسبب مرافقتي لعمر..

سألتي زوجتي:

- هل تعرضت لمضايقات يا دريد؟!
- كلمة مضايقات كلمة بسيطة بجانب ما تعرضت له يا عزيزتي.
- حقا!!
- طبعاً، لكن لا تسأليني عنها الآن فليس الوقت مناسباً لذلك.
- دريد هل أخبرك شيئاً؟
- طبعاً تفضلي
- هل تعلم أن أبي والقساوسة الذين كانوا يزوروننا باستمرار كان يخططون أن تتزوج بي أو بإحدى أختي؟

- حقا؟!!

- أجل

وقصت علي ما كان يدور بين والدها والقساوسة تجاهي..

**

كم من العمر أحتاج وأنا أشكر الله على أن جعلني من نصيب دريد لأكون قد وفيت شكري؟ ما أطيبه؟! لقد عشت عمري كله لم أقابل رجلا مثله، أخشى أن أحسد نفسي عليه فأفقده، استطيع أن أقولها بملء فيّ: كان قراري أن أتزوجه أصح قرار أخذته في حياتي كلها، ومهما كانت الضريبة التي سأدفعها بسبب قراري لن أهتز، لقد القيت بضعفي كله بين يديه ليتحول إلى قوة. حينما حدثني في تلك الليالي الفائتة وجدت فيه من الإخلاص ما لم أجده في أكبر القساوسة والرهبان، لقد أحببت الإسلام أكثر وأكثر لأنه يسكن قلب دريد، ولابد أن أجعله يسكن قلبي مثله لأكون أهلا لكوني زوجته.

**

مر أسبوع ونحن في بيت أستاذي حتى بدأت أشعر بالخرج، وخشيت أن أثقل عليه أكثر من ذلك فأسمع حوارا آخرا بينه وبين زوجته يحرمني كما حدث مع أهل عمر، فعزمت على العودة إلى شقتي، حاول أستاذي أن يبقيني معه لكنني كنت قد عقدت العزم ولا مجال للتراجع. خرجت من بيت أستاذي في الليل وكان التحرك في هذا الوقت مخاطرة لكنني توكلت على الله، وفي قرابة الساعة العاشرة مساء كنت أنا وزوجتي داخل شقتي دون أن يشعر بنا والدها، وقضينا ليلتنا معا بمفردنا ليسكن كل منا إلى الآخر، لم يكن في الشقة أي أثاث، فقط لحافان أنام على واحد واتغطى بالآخر، فشاركنتي زوجتي منامي هذا.

في الصباح خرجت لأحضر الفطور فرأيت والدها أمامي، حينما رأني صرخ بوجهي قائلاً:

- يا حرامي، يا مختطف النساء، تلك هي أخلاق دينك، لن اتركك تتجو بفعلتك وسأعيد إلي ابنتي اليوم قبل غد.

لم أرفع راسي في وجهه وتركته يقول ما شاء حتى بصق في وجهي!

تحملت كل ذلك لأنه أصبح في مقام والدي، وعلي أن أطيع أمر ربي حينما قال في كتابه العزيز: "وَأِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (١٥ لقمان)، فأكملت طريقي وهو مازال يرميني باتهاماته.

طبعا كان علي أن أخبر زوجتي بالمعاناة التي حدثت لي مذ أشهرت إسلامي وبدأت أحكي لها لتكون على استعداد لكل ما هو آت.

"لقد لاحظ أساتذتي النصارى ملازمتي لعمر فترات طويلة، وسألوني عن سبب ذلك، فكنت أتحجج بأننا مجرد اصدقاء، لكن لم يصدقوني، وحركوا أمن الجامعة علي وعلى عمر واستمرت الاستجوابات فترة ليست بالقصيرة، حتى أشهرت إسلامي وكنت ما زلت طالبا جامعيًا في السنة الرابعة، فصار القساوسة والرهبان

يأتونني من كل حذب وصوب ويناقشونني في الإسلام يحاولون تشويهه لي، فكنت أجيبهم بأن الإنجيل محرف وأسوق إليهم الأدلة التي كنت تدارستها من قبل أنا وعمر، ولما لم يفلحوا معي، بدأ أساتذتي النصارى يهددونني بأنني سأرسل في موادهم إن لم أرجع عن دين الإسلام فلم أكرث، بل تركت الجامعة وتغيبت عن المحاضرات أنا وعمر فترة طويلة حتى جاءنا إنذار من الجامعة بالفصل إن لم نعد إلى الدراسة ، فكنا مهتدين بضيا ع مستقبلنا العلمي إلى الأبد فعدنا في آخر أيام الدراسة، وعندما عدت غير النصارى أسلوبهم معي وبدأوا يغرونني بالمال ويسوقون علي الفتيات علني أضعف أمام حسنهن، حتى أنهم عرضوا علي أن أبق على إسلامي لكن أسافر إلى أي بلد أوروبية، المهم ألا أبقى في بلدي مسلما لأن ذلك ليس في صالح الكنيسة، لكنني رفضت كل ذلك وتمسكت بديني، تمسكت بديني في زمان يفرط فيه الكثير من المسلمين في أساسيات دينهم من أجل المال ومن أجل الجاه، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

هل يسكت النصارى ويتركوني وديني؟! لا والله، بل بدأوا يطاردونني أمنيا حتى كنت أتنقل من حي إلى حي حتى استقر بي الأمر في تلك الشقة، المحترقة ربما كانت أداة الضغط الجديدة علي أتزمر من العيش فيها ومن المضايقات التي أتعرض لها فأترك الإسلام، لكن كيف أتركه بعدما تذوقت حلاوته ورأيت على صورته الصحيحة، بعيدا عن تلك الصور المزيفة التي كانوا يتعمدون أن يجعلوها نصب أعيننا؛ كي لا نفكر في هذا الدين الذي يحرض على القتل وسفك الدماء، هذا الدين الذي كان رسوله مولعا بالنساء، ساعيا إلى الملك! والكثير والكثير من الأكاذيب التي غلفوا بها الإسلام في أعيننا كي نكرهه، لكن يأبى الله إلا أن يصل نور الحق إلى أناس منا لنكتشف تلك الأكاذيب ونتعرف على هذا الدين العظيم، فكيف بعد كل ذلك نتركه!!؟

استمعت إلي زوجتي وفي عينيها نظرات إعجاب بي كافيه لأنسى كل ما فات، ولم أكن أعلم أن ما هو آت أمر!

**

أذكر ذات يوم بعدما علم الجيران بنا وبزواجنا، جاءتنا إحدى الجارات تبارك لنا، وأحضرت معها هدية في شنطة، بعدما انصرفت فتحتها زوجتي لتتفاجأ بجلباب مفتوق من تحت الإبط، أي جلاباب مستعمل وبالي، حينما رآته زوجتي حزنت بشدة، هل مثل هذا الجلاباب يهدى لعروس؟!!

فقلت لها:

- لا تنزعجي يا غاليتي، قصي هذا الجلاباب وحوليه إلى قماشة لتنظيف أرضية الشقة.

مرت عدة أيام وكان لدي موعد في دفتر الخدمة العسكرية بتاريخ ٢٠ / ٩ لمراجعة التجنيد، كان من المفترض أنهم يبلغونا في هذا اليوم موعد تنفيذ الخدمة العسكرية، فقالت لي زوجتي التي تكننت بأم مريم بعد إسلامها أنها ستعد الغداء حتى أعود، وكانت المسافة بيني وبين مكان الخدمة قرابة الساعة أو تزيد، فذهبت إلى مقر الخدمة وزوجتي تعد الغداء على أمل أنني سأرجع بعد ساعات معدودة، لكنني لم أعد!!

كنت أعد الطعام حتى إذا رجع دريد تغدينا معا، انتظرتة أربع ساعات ولم أضع في فمي شيئا من الطعام، حتى انتهى اليوم ولا خبر عنه، انزويت في أحد أركان البيت وبدأ الخوف يتسلل إلى قلبي، ودقات الساعة كأنها ناقوس خطر يدق على رأسي، لا يوجد أي وسيلة يمكنني أن أتواصل معه من خلالها. تملكني الخوف وبدأت أبكي، احتضنت نفسي بذراعي، هل أصيب دريد بمكروه؟ هل تعرض لحادث؟ هل لاحقته قوات الأمن مجددا؟ هل دبر له أبي شيئا؟ ماذا لو كان تم اختطافه؟!!

كل الاحتمالات ممكنه ولا خبر، مر علي اليوم الأول والثاني لا أجد خبرا، شاطرنى البكاء هلعي وفزعي وخوفي، كنت أنام هروبا من الحياة وأنا منزوية في تلك الزاوية فتهاجمني الكوابيس لأقوم فزعة منه، فلا صحو يستوعبني، ولا حلم يريحني، بلغ بي القلق حد الجنون، تخيلت أن أبي قد اقتحم الشقة وأخذني عنوة بعدما فعل شيئا ما بدريد، تخيلت ماذا عساهم أن يكونوا قد فعلوا به، تخيلت

حياتي قد انتهت برحيل دريد، كيف سأعيش بدونه ومن سيمدني بالقوة لأثبت على الإسلام؟ أنا لا أعرف الكثير عن هذا الدين الذي أحبته ولا أعرف تفاصيله، سيعيدني أبي إلى الكنيسة ويحولني إلى المسيحية مجدداً، لا أريد هذا يا إلهي، قلتها بحرقة قلب لا يشعر بها أحد سوى الله، بكائي لا ينقطع، وخوفي يتضاعف كلما مرت الساعات ودريد لا يعود.

انهالت علي الكوابيس فكنت أفزع من نومي وأصرخ منادية حبيبي الغائب، فيجيبني صمت مخيف، تمنيت لو كان أحد إخوتي معي ليهونوا علي، لكنني خشيت أن يكتشف أبي أمر غياب دريد فيخطفني هو..

دريد ماذا سأفعل يا حبيبي وحدي في هذه الدنيا؟ لماذا علقتني بك ورحلت تاركاً إياي أتمزق في غيابك؟ لقد عشت برفقتك أجمل أيام عمري، من سيحنو علي مثلك؟ من سيحتويني مثلك؟ من سيحبني كحبك؟ عد إلى قلبي يا حبيبي قبل أن أموت قهراً.

تمر الساعات وتتوالى الأيام وأنا أموت وموتا، لا أعرف ماذا يخبئ لي الغد، ولا أعرف كيف سيصير مستقبلي؟ لماذا ركلتني الدنيا فجأة هكذا وأنا التي ظننتها قد ابتسمت لي؟ لماذا غدرت بي؟ أرى نظرات التشفي في عيني أبي تحاصرني، وتوبيخ إخوتي على فعلتي، لقد خلفت اتفاقي معهم أن أعيد دريد إلى دينهم، وها أنا من تسلم.

ليس أمامي سوى الاستسلام للموت، فأني عيشة تلك التي تنتظرني إن رحل عني دريد، الموت هو خيارى الوحيد، سأرتاح من خوفي وقلقي وهلعي، سأموت على دين أحبه ولا أستطيع التمسك به إن كنت وحدي، سأذهب لربما أجد دريد هناك ينتظرني عند الله.

امتنعت عن الأكل والشرب لمدة خمسة أيام، ولم آخذ من الحياة إلا تلك الصلوات التي أصليها كي أثبت على ديني الجديد، خارت قواي، فانزويت إلى ركني المفضل انتظر الموت بكل استسلام ويأس..

**

الليل، أوجاع وآلام وبكاء، هكذا هو حالي مذ تغيبت عن زوجتي، كنت أموت في اليوم مئة مرة وأنا أتخيل حالتها وهي تنتظرني ولا تعلم عني شيئاً، وما باليد حيلة! كدت أجن والأيام تمر علي ولا أعرف كيف أبلغها بما جرى عندما وصلت إلى مكتب الخدمة. لقد تفاجأت أنا وزملائي أنهم قرروا أن يأخذونا إلى الخدمة الإلزامية (الجيش) وجهزوا السيارات التي ستأخذنا إلى مراكز التدريب، نزل الخبر على قلبي كجمرة نار، وشعرت بشلل تام في تفكيري، ماذا أفعل؟ وكيف سأبلغ زوجتي بهذا القرار المفاجئ؟ وكيف ستكون حالتها حينما لا أعود؟ أصابني الخبر بصدمة الاستسلام لقدري، وكنت كعروس خشبي تنفذ ما يقال لها دون أدنى إرادة، حتى إذا حل علي الليل انتصبت أصلي وأبكي بحرقة حتى تنتفخ جفوني، شعرت أنني في سجن موصد، وحببتي حياتها معرضة للخطر في غيابي، ومر اليوم الأول وجاء الثاني والاحتراق في قلبي يزيد، شعرت بأنني غريق أحاول أن أبقى على قيد الحياة لكن الأمواج تحاوطني من كل اتجاه.

مر أربعة أيام شيبني الهم فيهن، وفي ليلة اليوم الخامس رأيتها في منامي تبحث عني في الطرقات وحالتها يرثى لها، حتى سقطت أمامي وأنا مكبل بالقيود وفمي قد أغلق بلاصق، سقطت ولم ترني رغم أنها قد اقتربت جدا مني، ولم أستطع أن أناديها لتنتبه إلي، وفجأة حل قيدي ونزع اللاصق عن فمي فهرعت إليها لكنها...

قمت فزعا من نومي ذاكرة اسمها فاستيقظ زملائي على صوت صراخي، وأسرع أحدهم بكوب ماء إلي، كانوا على علم بالأمر فأخذوا يهونوا علي وهم أيضا لا يعرف أهلهم عنهم شيئا، وجاء اليوم الخامس فشعرت باختناق شديد، كأنني أحتضر، تخيلت أن والد زوجتي قد أخذها من البيت وأني لن أراها مجددا، يا إلهي ارحم ضعفي، وقفت أصلي تلك الليلة وحالتي بائسة لكن كان عندي أمل طفيف أن ما أخشاه لن يحدث، ألحيت على الله أن يطمئنني على زوجتي، ألحيت كثيرا حتى انقطعت انفاسي ورحت في النوم. وفي صباح اليوم السادس أخبرنا أننا في إجازة لمدة ٢٤ ساعة فقط لكي نخبر أهلنا بمكاننا، لم أصدق أذناي، وانطلقت كالمجنون قاصدا شقتي، كنت طوال الطريق أهيء نفسي أنني سأجد ما أخشى، حتى

وصلت إلى البيت وصعدت الدرج مهرولا، وضعت المفتاح في الباب وأنا أدعو الله أن أجد زوجتي بالداخل، فتح الباب فوجدتها منزوية على الأرض، ناديتها مسرعا إليها، فنظرت إلي في يأس وأغمضت عينها لتغيب عن الوعي، جن جنوني وأخذت أبحث عن أي شيء اعطيه لها لتستفيق، فلما استفاقت ظلت ترتعش من الخوف وتبكي بشكل هستيري فاحتضنتها ليهدأ روعها وظلت هكذا وقتا حتى قصصت لها الخبر لتطمئن أنني بخير.. لقد اعتصر قلبي ألما على حالتها، فقضيت أغلب وقتي معها وهي بين سحري ونحري ليهدأ روعها فما عانته في تلك الأيام يحتاج لشهور كي تنساه، أشفقت على تلك الفتاة الرقيقة، هذا الاختبار الأول لها، تمنيت أن يكون الأخير، دعوت الله أن يرفق بحالي وحالها.

كانت فترة التدريب ثلاثة أشهر، وإجازتي فيها كانت يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع، قضت زوجتي تلك الفترة بمفردها في الشقة، تعد الأيام عدا حتى أرجع إليها يوم الخميس، وتودعني بدموعها حينما أرجع إلى التدريب، لقد تحملت الكثير، تلك ضريبة زواجها بي!!

طبعا في تلك الفترة كنت بلا عمل، ولم يكن لدي مصدر لجلب المال إلا بيع ملابس زوجتي المتراصة في الحقائق السبعة التي أدخلوها شقتي قبل زواجنا.

في أول مرة نزلت إلى السوق، ذهبت إلى بائع للملابس الجاهزة وعرضت عليه أن يشتري مني قطعتين من تلك الملابس، رفض بادئ ذي بدء لكنني حينما أخبرته بقصتي رفق بحالي وقبل أن يشتري مني تلك الملابس، فكنت في كل مرة أذهب إليه بقطعة أو قطعتين، فأخذ من تلك النقود مصروفا لي، وأشتري خضارا وفاكهة لزوجتي، لكن للأسف كانت تلك الأشياء تفسد سريعا لأننا لا نملك ثلاجة.

بعد زواجنا بشهرين مرض والد زوجتي فقلت لها:

- هذا وقت مناسب لنذهب لوالدك ونزوره.
- لكنني أخشى يا دريد أن ينفعل ويتناول علي بالضرب!
- لا تقلقي أنا معك، وحتى إن فعل ذلك فلا تتذمري فهو أولا وأخرا والدك.

وبالفعل زرنا والدها وحينما رآها أخذ يبكي وهي تبكي حتى هداً
الجو والنفوس. ومن بعد ذلك تقبل والدها الأمر وعادت
العلاقات بيننا وبينه طيبة.

كانت فترة التجنيد بالنسبة لي سنة ونصف، كنت أقضي في
الخدمة عشرة أيام وأقضي مع زوجتي عشرة أيام، وفي تلك العشرة
أيام كنت أبحث عن عمل، لكن كانت أعمالاً يومية لأن الناس لا
تقبل أن توظف أحداً ليس متفرغاً، فكنت أعمل حمالاً أو عتالاً
وغيرها من تلك الأشغال.

في تلك الفترة جاءني صاحب البيت في الشهر السادس ليفاجئني
بأنه رفع سعر الإيجار، ويريد مني أن أدفع له الفرق، استنكرت
طلبه وقلت له:

- ما ذنبي ألم أعطيك إيجار هذا العام مقدماً كاملاً؟!

لم يرفق بي وأصر على موقفه، وللعلم صاحب العمارة من
المفترض أن يكون رحيماً ولا يفعل ذلك بي، حيث أنه صاحب مسجد
كبير بناه لله في الموصل! سألته بعفوية:

- هل هذا جائز شرعا؟

فقال لي ساخرا:

- على آخر الزمان يأتيني مسيحي أسلم يعلمني ديني؟؟!!

فلم يكن بوسعي إلا أنني اقترضت من بعض معارفي مالا ودفعته
إليه ليتركني وشأني!

انتهت الخدمة العسكرية وبدأت أبحث عن عمل وإذ بقوات الأمن
تعتقلني بعدما أشهرت زوجتي إسلامها، هجموا علينا في البيت
وسحبوني، وبدأوا يستجوبونني، لماذا أسلمت زوجتك؟ وكيف
أسلمت؟ واستخدموا معي التهديد والوعيد والضرب.

وخرجت من المعتقل وعدت لزوجتي وطبعا كانت حالتها كما المرة
السابقة يرثى لها! لكن على الأقل هذه المرة كانت تعرف أين ذهبت..
بدأت أبحث عن عمل لأحسن دخلي، فأنا مازال بيتي يتكون فقط
من لحافين ووسادتين، وصحنين ومعلقتين! ورغم كل ذلك كانت

زوجتي صابرة ومحتسبة، ولم تطلب مني شيئاً أبداً تشتتني نفسي،
إن لم أشتري لها بنفسني أو آخذها للسوق لا تطلب.

نزلت إلى السوق واجتهدت حتى فتحت دكاناً صغيراً لبيع
المشروبات الغازية والحلوى، وبعد فترة وسع الله علي فصار عندي
محلات لبيع المكسرات والحلويات، وكنت أوزع على خمسة وعشرين
محلاً، وعشت ميسوراً مالياً لمدة سبع سنوات، حتى انزعج مني
التجار في السوق أن كيف لهذا الذي بلا عشيرة أن يمتلك كل تلك
المحلات؟ وبدأوا يمكرون بي، حتى ذهب أحدهم وبلغ أنني أسب
الحزب والدولة في حكم صدام حسين، فأخذوني وعذبوني عذاباً
شديداً، وأنا لا أعلم ما تهمني، حتى طلب المأمور من الذي افترى
علي أن يحضر شاهدين، فجاء رجلان من رجال السوق لا يعرفان
ما تهمني للمأمور وسألهم:

- هل سمعتم دريد يسب الحزب والنظام؟

فقالا:

- لا والله ما سمعناه يقول شيئاً كهذا!

فنظر المأمور إلى الواشي وقال:

- أجبني بشاهدي إثبات أم شاهدي نفي؟!!

ووكل لي محاميا برأني من التهمة المنسوبة إلي وقال المحامي:
من حقا أن ترفع عليه دعوة كيدية لتسترد حقا. قلت له: لا لن
أفعل. خشيت أن يتضاعف إضرارهم بي إن فعلت ذلك.

وخرجت من المعتقل، وكانت حالتي النفسية متدهورة جدا أنا
وزوجتي ومرضت جدا بسبب التعذيب، كنا نبكي ليل نهار وندعو
الله أن ينقذني من هؤلاء التجار عديمي الإيمان، حتى سمع بما
حدث لي رجل يعرفني كنا نذهب معا إلى الصلاة، فدخل معي
شريكا ليصبح هو عشيرتي التي أحتمي بها من التجار.

لكن لم يدم الحال طويلا وفقدت تجارتي كلها، وراحت المحلات
التي كنت أمتلكها، وعدت إلى نقطة الصفر من جديد، وفي ذلك
الوقت جاءني قس وقال لي:

- أما آن لك أن ترجع يا دريد؟ لقد أخذك المسلمون لحما ورموك
عضما.

أجبتة بكل أدب قائلاً:

- يا أبانا أنت قلت بنفسك، المسلمون هم من آذوني لا الإسلام،
و والله لو أن الإسلام هو الذي أذاني لتركته، لكن الإسلام
بريء منهم ومن أفعالهم.

فتركني وهو يشتاط غيظا بسبب تمسكي القوي بالإسلام، ونوى
لي شراً!

في عام ٢٠٠٤م وبسبب تلك المحن التي مررت بها يسر الله لي
الذهاب إلى بيته الحرام أنا وزوجتي لأداء العمرة، ما أجمله من
إحساس وأنا أرى كعبة الله أمامي، حينما رأيتهما غسلت نظراتي إليها
كل همومي وآلامي، كنت أعتمر بكل ذرات جسدي، استشعرت
عظمة الله، واستشعرت أنني أقتفي أثر رسول الله صلى الله عليه
وسلم، واستشعرت عظم هذا الدين أكثر وأكثر، وحمدت الله في قلبي
وبلساني على أن كرمني بالإسلام، هذا الدين الذي وضع لكل شيء
طريقته، ولم يترك نبيه شيئاً إلا بينه ووضحه، فاعتمرت كما اعتمر
النبي صلوات الله عليه، واستشعرت أن هنا فعل النبي كذا وهنا فعل

كذا وكذا، وهنا قال كذا، استحضرت النبي صلى الله عليه وسلم في قلبي كأنني أراه، ففاض شوقي له.

انتهيت من عمري وعدت كيوم ولدتني أمي، بت ليلتي وإذ بالحبیب يزورني، جاءني بهيئة القمر عند تمامه، وجهه وضاء منير، وضع يده على ظهري ودفعني برفق لأصعد درج وأسمع قارئاً للقرآن بصوت جميل جداً يردد قول الله تعالى: "عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى" فاستيقظت من نومي مستبشراً. بعدها اشتغلت أنا وزوجتي من المنزل في صنع حلوى المن والسلوى (حلوى عراقية تشبه الحلاوة الطحينية)، حتى أكرمني الله بعد عامين واشتريت منزلاً لي، وبعد عام ثالث اشتريت سيارة.

في أواخر عام ٢٠٠٧ وبعدما دخل الأمريكان العراق وخربوا ودمروا، اعتقلوني ليحققوا معي عن سبب اعتناقي للإسلام أنا وزوجتي، وعذبوني أشد العذاب ظناً منهم أنني دخلت الإسلام بعد سقوط بغداد، وأن المسلمين هم من أرغموني على ذلك، فقلت لهم

أنني مسلم منذ عام ١٩٩٢ وأنا طالب في الجامعة، فطلبت مني المحققة أن أقص عليها قصة إسلامي فقصصتها عليها، وكان حديثا طويلا، ورغم أنها كانت نصرانية قالت:

- بعدما سمعته منك، وما لقيته من إسلامك فأنت رجل مؤمن وتستحق منا كل الاحترام والتقدير، وسوف أوقع الآن على إطلاق سراحك.. فمثلك لا يسجن.

وفعلا بعد تسعة أيام أطلق الأمريكان سراحني، ولكن استلمني بعدهم قوات الجيش، و والله إن الذي لقيته على يد الأمريكان لهين جدا جدا مقارنة بما فعلته معي قوات الجيش، لقد عذبوني بالكابلات الكهربائية، وضربوني بعصاة غليظة، وأسقوني ماء آسنا، وكل هذا لماذا؟

لأنني أسلمت!!

وبعد ثلاثة أيام من التعذيب بدأوا يعرضون علي الارتداد عن الإسلام، لكن الله ثبتني، وبقيت هكذا لمدة عشرين يوما حتى

استدعاني مدير أمن المحافظة شخصيا، وعندما رأني رمقني بنظرات غضب وكأنه أراد أن يقتلني في تلك اللحظة، وقال بعصبية:

- لم أرد استدعاءك لكن جاءني توبيخ من القيادة، لماذا لا تتخذون إجراء بحق دريد؟ وهذا كله بفعل القس فلان حيث ذهب إلى العاصمة وقدم فيك بلاغا.

قلت له:

- هل لي أن أسألك سؤالا واحدا وبعده افعل بي ما تشاء وأنا راض؟

قال اللواء: اسأل..

- حينما كنت نصرانيا كنا نشرب الخمر ونلهو، ولم نر سيارة من سياراتكم تتعرض لنا بسوء، وحينما صرت مسلما أشهد ألا إله إلا الله، صرت كل حين عندكم، أولست مسلما سيدي اللواء أم أن لك دينا آخرا؟!

طأطأ اللواء رأسه، وقال لي: اجلس يا دريد، واحك لي قصة إسلامك بالتفصيل.

قصص عليه قصتي حتى دمت عينا، وحينما انتهيت قال لي:

- يا دريد أنا أخوك في الله، ولن تظلم بعد اليوم، وأي شيء تحتاجه تعال إلي وأنا حاضر.

قلت له:

- جزاكم الله خيرا، أنا لا أريد شيئا إلا أن أعيش في سلام.

فنجاني الله منهم وأخرجني هذا الضابط من المعتقل بسيارته الخاصة. وبقيت لمدة عامين في منزلي تحت الإقامة الجبرية فساءت حالة زوجتي النفسية جدا جدا حتى أصيبت بمرض الضغط والسكري، وأجري لها خمس عمليات جراحية، وأنا أجري لي بسبب التعذيب في المعتقلات أربع عمليات جراحية في ظهري والحمد لله على كل حال..

ولأن الله يكافئ الصابرين، كنت في زيارة لصديق لي عام ٢٠٠٨م فتركني وأمسك هاتفه ليجري اتصالا وأنا أسمع:

- السلام عليكم شيخ صابر .. عندنا رجل مسيحي أسلم هو وزوجته، مبهدلين، ساجنين، المسلمين في كل مكان يحاربوهم، ما مرتاح من كل طريقة، وفابت سجن و طالع سجن، فابت سجن طالع سجن.

فقال له الشيخ:

- متى تمكنتم من المجيء إلي تعالوا.

وكان الشيخ صابر زعيم عشيرته..

ذهبنا إلى الشيخ بعد يومين وهو لا يعلم عني شيئاً إلا ما قاله له صديقه عبر الهاتف، كان وقت صلاة المغرب فطلب مني الشيخ أن أصلي إماما بهم، قلت له:

- نحن في بيتك لا يحق لي ذلك!

لكن صمم فصليت بهم، ثم تعشينا عنده، ثم قال لي:

- يا دريد، أنا عندي هنا مؤشر (وأشار إلى صدره)، قابلت كثيرا في حياتي، وجاءني أناس كثر، والله سبحانه وتعالى يبين لي الصادق من الكاذب، لذا سأقول لك كلمتين، عندي أربعة بيوت

خصصتها لأصدقائي الذين يأتون إلي من محافظات أخرى،
واحد من تلك البيوت هو لك، وكل أخواني الموجودين هم
إخوانك، وأبنائي هم أبنائك.

ثم بدأ يطلب من أبنائه واحدا تلو الآخر أن يشتروا لي الأجهزة
الكهربائية التي سأحتاجها، فقلت له:

- يا شيخ صابر، أنا لدي بيتي الخاص، وعندي سيارة، وموظف.
فقال:

- والله لا أعرف كل ذلك، وبعد أن أخبرني صديقي عنك اجتمعت
بأخوتي، واتفقنا أن نجعل لك كل هذا.
قلت له:

- بارك الله لك في مالك وفي عشيرتك.

فقال لي:

- بع بيتك وتعال اسكن عندنا.

وبالفعل بعت بيتي واشتريت البيت الذي خصصه لي الشيخ
عام ٢٠١٠م في كردستان العراق، بعدما قضيت ستة عشر

عاما في الموصل لا أستطيع النوم ليلا أنا وزوجتي خشية أن يقتحم علينا الأمن البيت ويعتقلوني في أي وقت، وكنا ننام بالنهار، لكن عندما سكنت في بيت هذا الرجل وجدت الأهل والأمان والاطمئنان الذي حرمت منه سنوات وسنوات، حتى أنه طلب مني أن أحفظ أبنائه وأولاد الحي القرآن الكريم، فكان لي حلقة بها قرابة الثلاثين طالب. وبدأت أطور من نفسي فكنت أقرأ على المشايخ حتى ذهبت إلى الشيخ صديق البوطي لآخذ منه الإجازة برواية حفص، وحينما رأي قال لي:

- يا دريت لقد رأيت فيك رؤية أن أجيزك في مدة لا تزيد عن أسبوعين (أي أقرأ عليه القرآن كاملا في خمسة عشر يوما فقط).

قلت له: كيف يا شيخ؟!

قال:

- والله لقد جاءني في المنام هاتفا أن عليك أن تهتم بدريد اهتماما شديدا، وأن أجيزك في مدة لا تزيد عن خمسة عشر يوما.

اقشعر جسدي وشعرت أن الله راضيا عن سعيي، وبالفعل كنت أجلس على يديه يوميا وأقرأ جزءين ونصف، وكنت قبل أن أذهب إلى الشيخ قد حملت جميع حلقات الشيخ أيمن سويد وتعلمت منه طريقة نطق الكلمات والحروف من مخارجها، فكنت أجلس ما يقارب الأربع ساعات يوميا أتعلم على يديه من خلال شاشة الحاسوب وأنا مستلق على شقي لأنني لم أستطع الجلوس بسبب العمليات التي أجريتها في ظهري، كان معلمي دون أن التقي به أو أتعلم على يديه مباشرة، حتى أنني حينما كنت أقرأ على شيخي ليحيزني قال لي مازحا:

- يا دريد أخطئ ولو في كلمة واحدة لكي أقول أنني صوبت لك شيئا في قراءتك.

بعد فترة بدأت أحفظ القرآن الكريم وكنت وقتا معلما في إحدى المدارس، فكنت اعود من العمل وأتناول طعامي ثم أجلس متفرغا لحفظ كتاب الله حتى حفظته في عشرين شهر بفضل الله.

وها أنا أحيا منعما بإسلامي في ظل هذا الرجل الكريم الشيخ صابر ، حتى وفقني الله لكتابة قصتي في هذا الكتاب المتواضع الذي أسميته (ربحت محمدا ولم أخسر المسيح) عام ٢٠٠٩م

تركت أم مريم الكتاب من يدها بعدما قرأته بالكامل، ونظرت إلى زوجها بإعجاب شديد وقالت:

- ما شاء الله يا عزيزي ، الكتاب رائع.

- حقا؟!

- طبعا، أرجو أن ينفع الله بك كل من سيقراه

- أتمنى ذلك، فأنا لا أتربح منه ونيتي خالصة لوجه حتن

- أنا فخورة جدا بك يا دريد القلب.

- وأنا ممتن جدا لك يا غالييتي...

**

تمت

رواية دريد — بقلم شهد الإيمان آل ترك 🌸🌸

قصة الشيخ المحفظ: دريد متى بطرس، المعروف باسم دريد
إبراهيم الموصلي

الشيخ الحافظ: دريد متى بطرس..

و